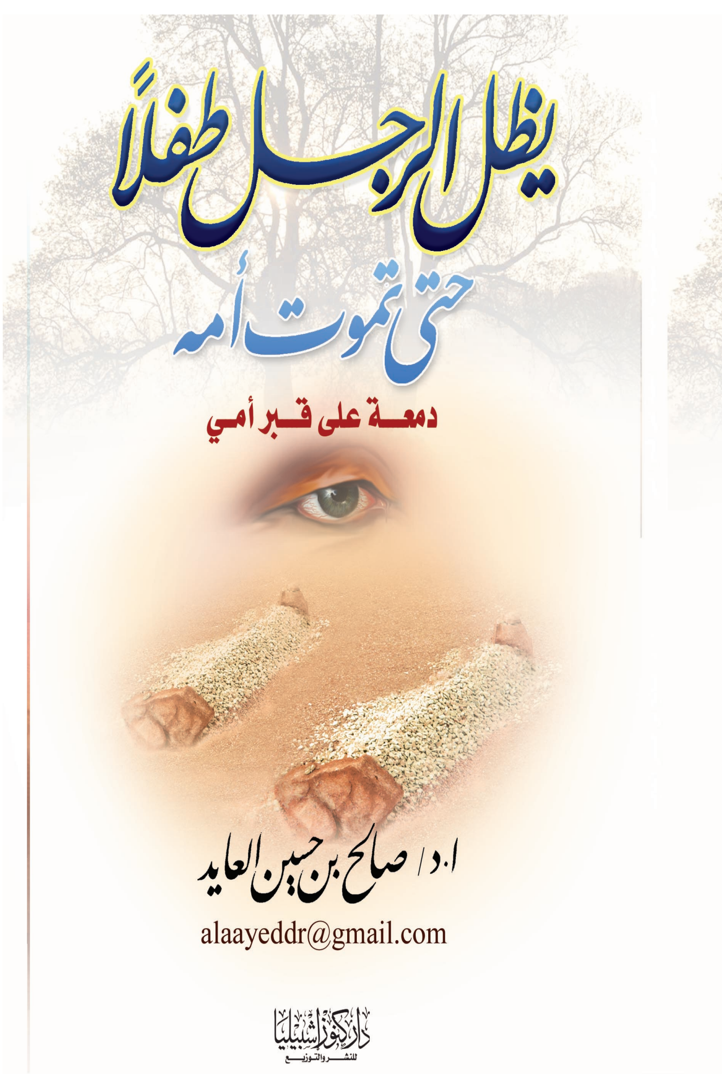

يظل الرجل طفلاً
حتى تموت أمه
دمعة على قبر أمي
ا.د/ صالح بن حسين العايد
alaayeddr@gmail.com
دار كنوز إشبيليا
للنشر والتوزيع


هذا الكتاب
(خيرُ الكُتبِ مَا إذا أَعادَ قارِئهُ النظَرَ فِيْهِ ازْدادَ حُسْنُهُ)
(أدب المملي ١٥)
وهذا الكتابُ الذي أَبْكَى كُلَّ مَنْ قَرَأهُ نحسبُ أنّ قارئَهُ سَيُعِيْدُ
قِرَاءَتهُ مَرّاتٍ، وفي كُلِّ مرّةٍ سيقعُ فيهِ على فوائدَ جديدةٍ بإذنِ اللهِ :
الأولى : لِمَعْرِفةِ خَبَرِهِ وَقِصَّتِهِ .
والثانيةُ : لِتَذَوُّقِ جَمَالِ أَشعَارِهِ وَتَأمُّلِ معانيها.
والثالثةُ : للاسْتِمْتَاعِ بِأُسْلُوْبِهِ .
وَأُخَرُ : لِتَدَبُّرِ حِكَمِهِ وَأَمْثالِهِ ، ولاستخلاصِ العِبَرِ والفوائدِ منهُ .
الناشر
دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧
هاتف: ٤٧٧٣٩٥٩-٤٧٩٤٣٥٤ - ٤٧٤٢٤٥٨- فاكس: ٤٧٨٧١٤٠
البريد الإلكتروني eshbelia@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، 1432هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.
العايد، صالح حسين.
يظل الرجل طفلاً حتى تموت أمه/ صالح حسين العايد ط12
الرياض، 1432هـ
182 صفحة، 14×20
ردمك: 3-9-9588-9960
1- النثر العربي – مجموعات أ. العنوان
ديوي 819.008

رقم الإيداع 1432/393هـ
ردمك: 3-9-9588-9960

الطبعة الثانية عشرة
1432هـ/2011م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص ب: 27261 الرياض 11417
هاتف: 4914776-4968994 فاكس: 4453203
E-mail; eshbelia@hotmail.com.

يَظلُّ الرَجُلُ طِفْلاً حتى تمُوْتَ أُمُّهُ

«دمعةٌ على قبر أمّي»

تأليف

أ.د. صالح بن حسين العايد
alaayed@hotmail.com



إِهْدَاءٌ

◉ إلى كُلِّ أمٍّ إكْرَاماً لأمِّيْ رَحِمَهَا اللّهُ:

«وَلأَجْلِ عَيْنٍ أَلْفُ عَيْنٍ تُكْرَمُ»[1]

◉ إلى كُلِّ مَنْ لَهُ أمٌّ كَأمِّيْ، وَلَهُ قَلْبٌ كَقَلْبِيْ.

◉ إلى مَنْ فَقَدَ مِثْلَ مَنْ فَقَدْتُ، وَحَزِنَ مِثْلَمَا حَزِنْتُ.

[إهداءٌ خاص]

◉ إلى مَنْ فَقَدَ مَنْ فَقَدْتُ، وَحَزِنَ مِثْلَمَا حَزِنْتُ، إلى إخْوَتِيْ :
أبي سامي، وأبي عبدالله، وأبي نَوَّافٍ، وأبي عبدالرحمن.

◉ وإلى شقيقاتي:
أمِّ رَامِيْ، وَأمِّ صُهَيْبٍ، وَأمِّ مُهَنَّدٍ.

أُهْدِيْكُم

(دَمْعَتِيْ عَلَى قَبْرِ أُمِّيْ)

مَا قَبْلَ الـمُقَدِّمَةِ

هَذَا الكِتَابُ رَسَمْتُ حُرُوْفَهَ وَكَلِمَاتِهِ وَجُمَلَهُ بِـمِدَادٍ مِنْ قَلْبِـيْ قَبْلَ مِدَادِ قَلَمِيْ، وَمَهَرْتُـهُ بِـالعَبَرَاتِ قَبْلَ العِبَارَاتِ؛ فَهُوَ صَدًى لِفَقْدِ أَحَبِّ الأَحْبَابِ...

وَهَلْ مِنْ مُصِيْبَةٍ - سِوَى فَقْدِ الدِيْنِ - أَعْظَمُ مِنَ الـمَوْتِ؟

وَهَلْ مِنْ مَوْتٍ أَشَدُّ إِيْلاماً مِنْ مَوْتِ الأُمِّ؟

وَهَلْ مِنْ حَدِيْثٍ أَصْدَقُ مِنَ الرِثَاءِ؟

وَهَلْ مِنْ رِثَاءٍ أَصْدَقُ مِنَ رِثَاءِ الأُمِّ؟

مَا سَتَقْرَؤُوْنَهُ فِي هَذَا الكِتَابِ - إِنْ شَاءَ اللهُ- كَلامُ مُلْتَاعٍ أَحْسَبُ أَنَّهُ قَدِ اِكْتَسَى حُلَّةً مِنَ الصِدْقِ قَشِيْبَةً؛ لأَنَّهُ نَبَعَ مِنَ صَمِيْمِ الفُؤَادِ وَوُجْدَانِهِ، وَانْبَجَسَ مِنْ أَعْمَاقِ القَلْبِ وَأَرْكَانِهِ.

إِنَّهُ قَلْبِـيْ زَرَعْتُهُ عَلَى صَفَحَاتِ الوَرَقِ؛ لِيَنْبُتَ فِي قُلُوْبِ النَاسِ، وَلِيُثْمِرَ فِي سُلُوْكِهِمْ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيْقِهِ؛ وَقَدْ قَالَ أَمِيْرُ الـمُؤْمِنِيْنَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيْزِ رَحِمَهُ اللهُ: (**لا يَنْفَعُ القَلْبَ**

إلا مَا خَرَجَ مِنَ القَلْبِ). وَقَالَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ عَبْدِقَيْسٍ العَنْبَرِيُّ: (الكَلِمَةُ إذا خرَجَتْ مِنَ القَلْبِ وَقَعَتْ فِي القَلْبِ، وَإذا خرَجَتْ مِنَ اللِسَانِ لَمْ تُجَاوِزِ الآذانَ).

آمُلُ أنْ تَقْرَؤُوْا كِتَابِيْ هَذَا بِعُيُوْنِ القُلُوْبِ؛ كَيْ تَلِجَ كَلِمَاتُهُ فِي سُوَيْدَاءِ قُلُوْبِكُمْ، وَعَسَى أنْ يَكُوْنَ صَدَاهُ بِرّاً بِوَالِدِيْكُمْ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً ؛ فَأَظْفَرَ بِحُسْنَيَيْنِ:

الأُوْلَى: أَجْرٌ مِثْلُ أَجْرِكُمْ؛ لأَنَّ الدَالَّ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ.

وَالأُخْرَى: دَعْوَةٌ صَالِحَةٌ في ظَهْرِ الغَيْبِ لِيْ وَلِوَالِدَيَّ – رَحِمَهُمَا اللهُ – وَلِذُرِّيَّتِيْ.

وَأَتَمَنَّى لَكُمْ مَعَهُ قِرَاءَةً مُمْتِعَةً مُفِيْدَةً بِإِذْنِ الله تَعَالَى.

المقدمـة

الـحَمْدُ للهِ حَمْداً لا يَبْلَى جَدِيْدُهُ، وَلا يُحْصَى عَدِيْدُهُ، وَلا تُبْلَغُ حُدُوْدُهُ، كَتَبَ رَبُّنَا عَلَى الدُنْيَا الفَنَاءَ، وَكَتَبَ عَلَى الآخِرَةِ البَقَاءَ، فَلا بَقَاءَ لِـمَا كَتَبَ عَلَيْهِ رَبُّنَا الفَنَاءَ، وَلا فَنَاءَ لِـمَا كَتَبَ عَلَيْهِ رَبُّنَا البَقَاءَ، فَطُوْبَى لِـمَنْ أَخَذَ مِنْ فَنَائِهِ الذِيْ لا يَبْقَى لِبَقَائِهِ الذِيْ لا يَفْنَى.

وَالصَلاةُ وَالسَلامُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِ اللهِ محمّدِ بنِ عبدِالله الـذِيْ لَوْ سَلِمَ أَحَدٌ مِنَ الـمَوْتِ لَكَانَ هُوَ السَالِمَ، وَلَوْ كَانَ الـخُلُوْدُ في الدُنْـيَا مَنْقَبَةً لَمَا أَحْرَاهُ بأنْ يَكُوْنَ هُوَ الدَائِمَ.

كُتِـبَ الفَنَـاءُ عَـلَى البَـرِيَّةِ كُلِّهَـا
وَالنَـاسُ بَيْـنَ مُقَـدَّمٍ وَمُخَلَّـفِ
سُـبْحَانَ ذِي الـمَلَكُـوْتِ أَيَـةُ لَيْلَـةٍ
مَخَضَتْ بِـوَجْهِ صَـبَاحِ يَـوْمِ الـمَوْقِفِ[2]

أَمَّا بَعْدُ:

فَعِنْدَمَا تَدْلَهِمُّ ظُلُمَاتُ الحُزْنِ، وَتَكْفَهِرُّ دَيَاجِيْهِ، قَدْ تَبْدُوْ لِلْمَحْزُوْنِ شُمُوْعٌ يَجْلُوْ نُوْرُهَا شَيْئاً مِنْ غَيَاهِبِهِ الدَامِسَةِ، فَتُوْمِضُ خِلالَهَا (**شُمُوْعٌ فِيْ ظَلامِ الحُزْنِ**).

وفي هَجْعَةِ كَوَابِيْسِ الأَسَى وَصَمْتِ الشَجَا قَدْ تَجْرِيْ عَلَى لِسَانِ المَحْزُوْنِ هَمَسَاتٌ يُمَزِّقُ صَدَاهَا سُكُوْنَهُ؛ لأَنَّهَا فَيْضٌ مِنْ بَحْرِ رُؤًى شَجِيَّةٍ صَادِقَةٍ تَتَدَفَّقُ عَلَيْهِ في صَفَاءٍ وَزُهْدٍ، فَتُسْمَعُ مِنْ خِلالِهَا (**هَمَسَاتٌ في صَمْتِ المَآسِيْ**).

فَمَا أَحْرَى اللبِيْبَ بِأَنْ يُسَرِّحَ طَرْفَهُ في شُمُوْعِ المَحْزُوْنِيْنَ!.

وَمَا أَجْدَرَ العَاقِلَ بِأَنْ يُرْهِفَ سَمْعَهُ إلى هَمَسَاتِ المَكْرُوْبِيْنَ!.

وَإِنَّنِيْ حِيْنَمَا أَنَاخَتْ مُصِيْبَةُ مَوْتِ أُمِّيَ الحَبِيْبَةِ (**رُقَيَّةَ بِنْتِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ الجُمَيْلانِ**) رَحِمَهَا اللهُ، حِيْنَمَا أَنَاخَتْ تِلْكَ المُصِيْبَةُ الجَلِيْلَةُ بِكَلْكَلِهَا عَلَى قَلْبِيْ، وَأَضْوَانِيْ لَيْلُ الكُرْبَةِ بِهُمُوْمِهِ، تَذَكَّرْتُ حِيْنَذَاكَ نِعَمَ اللهِ عَلَيَّ التِيْ لا تُحْصَى، وَأَفْضَالَهُ التيْ لا تُنْسَى، وَأَنَّنِيْ قَدْ أَمْضَيْتُ عُقُوْداً خَمْسَةً أَسْبَحُ في بُحُوْرِ آلائِهِ وَفَيْضِ مَكَارِمِهِ، كُنْتُ طَوَالَهَا أَتَنَعَّمُ بِلَذَّةِ

عُبُوْدِيَّتِيْ لِرَبِّـيْ، وَأَعْتَزُّ وَأَفْخَـرُ بـها، وَكُنْتُ خِـلالـهَـا أَدْعُو اللهَ عَزَّ وَجَلَّ في عُلاهُ مُحْبِتاً إِلَيْهِ وَمُنْكَسِراً بَيْنَ يَـدَيْـهِ: **(إِلَـهِيْ كَفَانِيْ فَـخْـراً أَنْ تكُـوْنَ لِيْ رَبّاً، وَكَـفَـانِيْ عِـزّاً أَنْ أَكُـوْنَ لَكَ عَبْـداً، أَنْـتَ لِـيْ كَمَا أُحِبُّ، فَاجْعَلْنِيْ كَمَا تُحِبُّ)**.

وَكُنْتُ - وَلا زِلْتُ بِـفَـضْلِ اللهِ وَحْدَهُ - أَجْأَرُ إِلَيْهِ مُبْتَهِلاً:

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [يوسف: 101].

أَجَلْ، لَقَدِ انْفَرَطَتْ من عُمُرِيْ خَمْسَةُ عُقُوْدٍ انْفِرَاطاً أَسْرَعَ مِنْ جَفْنٍ إلى إِغْضَاءٍ؛ لأَنَّنِـيْ كُنْتُ فِـيْهَا آنَس بِـقُرْبِ الأَحْبَابِ، وَأَسِـيْحُ في بِـلادِ اللهِ الوَاسِـعَةِ، وفي صَـفَحَاتِ الكُتُـبِ الـمَاتِعَةِ، فَـالطَّرْفُ يَـسْرَحُ في كَـوْنِ اللهِ الفَسِيْحِ مُتَفَكِّـراً، وَالفِكْـرُ يَتَـنَعَّمُ في سِيَاحَتِيْنِ:

سِيَاحةٌ في قَارَّاتِ الأَرْضِ، وَسِيَاحَةٌ في عَالَمِ الأَدَبِ.

فَكُنْتُ إنْ رَحَلْتُ نَزَلْتُ بَيْنَ أَصْحَابٍ، وَإِذَا أَقَمْتُ بَقِيْتُ بَيْنَ أَحْبَابٍ: أُمٌّ رَؤُوْمٌ، وَأَوْلادٌ بَرَرَةٌ، وَإِخْوَةٌ مُشْفِقُوْنَ، وَأَخَوَاتٌ عَطُوْفَاتٌ، وَزَوْجَاتٌ حَنُوْنَاتٌ:

أَلا رُبَّ أَعْوَامٍ سَحَبْتُ ذُيُوْلَهَا

سَعِيْداً مَعَ الأَحْبَابِ في شَاهِقٍ أَشَمْ

أُرَشِّحُ آمَالاً طِوَالاً فَأَجْتَنِيْ

جَنَى العَيْشِ في ظِلٍّ ظَلِيْلٍ مِنَ النِعَمْ[3]

وَهَكَذَا كَانَتْ سِنِيْنِيْ - بِسَبَبِ سَعَادَتِيْ - تَتَصَرَّمُ شُهُوْراً، وَكَانَتْ شُهُوْرِيْ تَمْضِيْ أيّاماً، وَكَانَتْ أيّامِيْ تَتَسَارَعُ سَاعَاتٍ، وَكَانَتْ سَاعَاتِيْ تَنْقَضِيْ دَقَائِقَ....

ألا مَا أَسْرَعَ الدَقَائِقَ في السَاعَاتِ!

وَمَا أَسْرَعَ السَاعَاتِ في الأيَّامِ!

وَمَا أَسْرَعَ الأيَّامَ في الشُهُوْرِ!

وَمَا أَسْرَعَ الشُهُوْرَ في السِنِيْنَ!

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

وَلَكِنْ - وَأَسَفَاهُ - مَا أَسْرَعَ السِنِيْنَ فِي العُمُرِ!

وَمَا هِيَ إلا لَيْلَةٌ بَعْدَ لَيْلَةٍ

وَيَوْمٌ إلى يَوْمٍ وَشَهْرٌ إلى شَهْرِ

مَطَايَا يُقَرِّبْنَ الجَدِيْدَ إلى البِلَى

وَيُدْنِيْنَ أَشْلاءَ الصَحِيْحِ مِنَ القَبْرِ[4]

أَتَرَوْنَ بَعْدَ مَا ذَكَرْتُ أَنَّ أَحَداً كَانَ أَنْعَمَ مِنِّيْ بَالاً؟

أَمْ تَجِدُوْنَ أَنَّ امْرَءاً كَانَ أَحْسَنَ مِنِّيْ عِيْشَةً وَحَالاً؟

وَمَا أَجْمَلَ رِحْلَةَ الهُرُوْبِ عَلَى قِطَارِ الذَاكِرَةِ حِيْنَمَا تَسْرِيْ فِي الأَوْصَالِ بُرُوْدَةُ الفَنَاءِ القَاهِرَةُ!!! فَالدُنْيَا جَمَّةُ المَصَائِبِ، وَمُرَّةُ المَشَارِبِ؛ حَيْثُ لا تُمَتِّعُ صَاحِباً بِصَاحِبٍ، وَإنَّ مِنْ سَجَايَاهَا أَنَّهَا لا يَدُوْمُ سُرُوْرُهَا، بَلْ يَسْتَمِرُّ مَرِيْرُهَا؛ فَفَجْأَةً مَاتَتْ أُمِّيْ رَحِمَهَا اللهُ، فَخَيَّمَ عَلَيَّ الحَزَنُ بِظِلالِهِ، وَأَرْخَى عَلَيَّ الغَمُّ سُدُوْلَهُ، وَعَلِمْتُ حِيْنَذَاكَ، حِيْنَ العِلْمُ قَدْ يُجْدِي الفَتَى، أَنَّ هَذِهِ الدُنْيَا دَنِيَّةٌ؛ فَمَعَ كُلِّ جَرْعَةٍ فِيْهَا - مَهْمَا كَانَتْ مَرِيَّةً -

شَرَقٌ، وفي كُلِّ أَكْلَةٍ فِيْهَا - وَلَوْ كَانَتْ هَنِيَّةً - غَصَصٌ؛ فَالدُنْيَا - أَيُّهَا الأَحْبَابُ - تُصْبِحُ لِلْنَاسِ مُسِرَّةً، وَلَكِنَّهَا تُمْسِيْ عَلَيْهِمْ مُتَنَكِّرَةً.

وَأَيْقَنْتُ كَذَلِكَ أنَّهُ لا تُنَالُ فِي الدُنْيَا نِعْمَةٌ إلا بِفِرَاقِ أُخْرَى، وَلا يَسْتقبِلُ مُعَمَّرٌ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ إلا بِهَدْمِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ.

وَأَدْرَكْتُ أَيْضاً بَعْدَ أنْ زَالَتِ الغِشَاوَةُ عَنْ عَيْنَيَّ أنَّ حَيَاةَ الإِنْسَانِ إنَّمَا هِيَ بَالِيَةٌ كَنَسْجِ العَنْكَبُوْتِ، أَوْ هِيَ أَوْهَنُ، وَهَلْ هُنَاكَ أَوْهَنُ وَأَحْقَرُ مِنْ بَيْتِ العَنْكَبُوْتِ؟: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 41]:

وَبَيْتُ العَنْكَبُوْتِ إذا رَحَلْنَا
يُعَادَلُ بالخَوَرْنِقِ وَالسَدِيْرِ (5)

إنَّنِيْ حِيْنَمَا مَاتَتْ أُمِّيْ - رَحِمَهَا اللهُ- حَزِنْتُ حُزْنَ يَعْقُوْبَ عَلَيْهِ السَلامُ، وَبَكَيْتُ بُكَاءَ الثَكَالَى، لَكِنْ بِلا دَمْعٍ يُطْفِئُ لَهِيْبَ الفَقْدِ وَجَمْرَتَهُ، وَيُخَفِّفُ حَرَارَةَ الوَجْدِ وَحَمْأَتَهُ، وَيُزِيْلُ مَرَارَةَ اللَوْعَةِ، وَيَمْحُو قَتَامَةَ السُهْدِ وَظُلْمَتَهُ:

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

شَرِبْـــتُ الـــحُزْنَ كَأْســـاً بَعْـــدَ كَـــأْسٍ

فَـــمَا نَفِــدَ الـــشَرَابُ وَمَـــا رَوِيْـــتُ[6]

وَرَثَيْتُ أُمِّيْ - رَفَعَ اللهُ مَنْزِلَتَهَا فِي عِلِّيِّيْنَ -، رَثَيْتُهَا؛ لَعَلَّ الرِثَاءَ يَكُوْنُ (نَفْثَةَ مَصْدُوْرٍ)، (وَلا بُدَّ لِلْمَصْدُوْرِ يَوْماً مِنَ النَفْثِ)[7]؛ لِيَزُوْلَ مَا بِهِ، أَوْ يَخِفَّ شَجَنُهُ :

قِيْثَارَتِـــيْ مُلِئَـــتْ بِأَنَّـــاتِ الـــجَوَى

لا بُـــدَّ لِلْمَكْـــبُوْتِ مِـــنْ فَيَـــضَانِ

صَـــعَدَتْ إِلَى شَفَتِـــيْ خَـــوَاطِرُ مُهْجَتِـــيْ

لِيُبِـــيْنَ عَنْهَـــا مَنْطِقِـــيْ وَلِـــسَانِيْ

أَنَـــا مَـــا تَـــعَدَّيْتُ القَنَـــاعَةَ وَالرِضَـــا

لَكِـــنَّمَا هِـــيَ قِـــصَّةُ الأَشْـــجَانِ

يَـــشْكُوْ لَـــكَ اللَّهُـــمَّ قَلْـــبٌ لَـــمْ يَعِـــشْ

إلا لِحَمْـــدِ عُـــلاكَ فِـــي الأَكْـــوَانِ[8]

وَلَكِنَّ ذَلِكَ الرِثَاءَ لَمْ يَزِدْنِيْ إلا حُزْناً وَحَسْرَةً وَأَسًى؛ إِذْ رَثَيْتُ، فَأَبْكَيْتُ، وَشَدَوْتُ، فَأَشْجَيْتُ، وَمَا سَلَوْتُ سُلُوَّ الأَغْمَارِ، وَلَكِنِّيْ

- بحَمْدِ الله - صَبَرْتُ صَبْرَ الأَحْرَارِ، (وَالصَبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ صَبْرُ)[9] :

فَالصَبْرُ كَالصَبْرِ مُرٌّ فِيْ مَذَاقَتِهِ

لَكِنْ عَوَاقِبُهُ أَحْلَى مِنَ العَسَلِ[10]

(بَلِ الصَبْرُ تَارَاتٍ أَمَرُّ مِنَ الصَبْرِ)[11].

وَلَئِنْ كَانَ الرِثَاءُ عُنْوَاناً لِلْوَفَاءِ فَمَنْ أَحَقُّ مِنْ أُمِّيْ - رَحِمَهَا اللهُ- بِالرِثَاءِ؟.

وَمَنْ أَوْلَى مِنِّيْ لأَغْلَى النَاسِ (أُمِّيْ) - رَحِمَهَا اللهُ - بِالوَفَاءِ؟.

أُمِّيَ التيْ تَتَقَازَمُ الفَصَاحَةُ وَالبَلاغَةُ نَثْراً وَشِعْراً عَنْ وَصْفِ مَآثِرِهَا وَتَعْدَادِ مَنَاقِبِهَا:

أُمَّاهُ حَقُّكِ لاَ تُوْفِيْهِ مَلْحَمَةٌ

تَمُدُّهَا بِلَطِيْفِ السِّحْرِ ذِكْرَاكِ

لَوْلاَكِ مَا فَاضَ شِعْرِيْ مِنْ مَكَامِنِهِ

وَلاَ تَحَرَّكَتِ الأَشْجَانُ لَوْلاَكِ[12]

وَابْنُهَا الـمُحِبُّ الذِيْ مَهْمَا صَنَعَ فَلَنْ يُوَفِّيَهَا حَقَّهَا، وَمَهْمَا خَطَّتْ أَنَامِلُهُ مِنَ الكَلِمَاتِ فَلَنْ تَبْلُغَ مِقْدَارَ شَأْوِهَا، وَلَنْ تَسْتَطِيْعَ العِبَارَاتُ وَالـجُمَلُ أَنْ تُفْصِحَ عَنْ مَكْنُوْنِ ضَمِيْرِ ابْنِهَا الـمُلْتَاعِ مِنْ فَقْدِهَا:

مَـــاذَا سَـــأَكْتُبُ عَـــنْ نَهْـــرِ الـــحَنَانِ وَهَـــلْ

يُطِيْـــقُ حَمْـــلَ شُـــعُوْرِيْ نَحْـــوَكِ الـــوَرَقُ؟

بَـــلْ كَيْـــفَ أُوْفِـــيْكِ مَـــا قَـــدَّمْتِ مِـــنْ كَـــرَمٍ

وَمِـــنْ حَنَـــانٍ وَمِـــنْ حُـــبٍّ لَـــهُ أَلَـــقُ؟

أُمَّـــاهُ هَـــذَا فُـــؤَادِيْ جَـــاءَ مُعْتَـــذِراً

عَـــنْ عَجْـــزِهِ يَحْتَوِيْـــهِ الـــخَوْفُ وَالقَلَـــقُ

لَمْ يَـــسْتَطِعْ بَعْـــدَ جَهْـــدٍ رَدَّ مَـــا بَـــذَلَتْ

كَفَّـــاكِ حَتَّـــى دَنَـــا مِـــنْ عَزْمِـــهِ الـــشَفَقُ[13]

وَلَكِنَّ الـحَزَنَ حِيْنَ حَبَسَ دُمُوْعَ عَيْنَيْهِ قَدْ أَسَالَ دَمْعَ قَلَمِهِ، وَقَدْ صَدَقَ مَنْ قَالَ: (**لا أَصْدَقَ مِنَ الرِثَاءِ**)؛ لأَنَّ الرَاثِـيَ يَرْسِمُ مَشَاعِرَهُ عَمَّنْ لَـمْ يَعُدْ يَرْجُوْ نَوَالَهُ وَلا مَدْحَهُ وَلا رِضَاهُ:

طَـوَى الـمَوْتُ أَسْـبَابَ الـمُحَابَاةِ بَيْنَنَـا

فَلَسْتُ وَإِنْ أَطْنَبْتُ فِيْكِ بِمُتَّهَمْ[14]

وَهَكَذَا وُلِدَتْ مَرْثِيَّتِيْ لأُمِّيْ رَحِمَهَا اللهُ؛ حَيْثُ انْقَدَحَتْ فِي خَاطِرِيْ مِنْ بَيْنِ رُكَامِ الأَحْزَانِ رُؤًى رَسَمْتُهَا فِي مَقَالَةٍ وَسَمْتُهَا بـ(**يَظَلُّ الرَجُلُ طِفْلاً حَتَّى تَمُوْتَ أُمُّهُ**)، وَنَشَرَتْهَا صَحِيْفَةُ (**الجَزِيْرَةِ**) **السُعُوْدِيَّةُ** يَوْمَ الخَمِيْسِ التَاسِعَ مِنْ شَهْرِ جُمَادَى الآخِرَةِ مِنْ عَامِ 1424هـ الـمُوَافِقَ السَابِعَ مِنْ شَهْرِ أَغُسْطُسَ مِنْ عَامِ 2003م.

وَبَعْدَ نَشْرِهَا اتَّصَلَ بِيَ أَكْثَرُ مَنْ أَعْرِفُهُ، وَكَثِيْرٌ مِمَّنْ لا أَعْرِفُهُ، وَكُلُّهُمْ يُبْدُوْنَ تَأَثُّرَهُمْ بِهَا، وَيَحُثُّوْنَنِيْ عَلَى نَشْرِهَا فِي كِتَابٍ يَقْرَؤُهُ مَنْ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى المَقَالَةِ، وَقَبْلَ ذَلِكَ وَبَعْدَهُ لَعَلَّهُ يَعْتَبِرُ بِمَا فِيْهِ مِنْ عِبَرٍ ذَوُو الحِجَى وَالأَلْبَابِ:

فَكَمْ فِي الحَوَادِثِ مَا يُنَبِّهُ العُيُوْنَ مِنْ سِنَةِ غُرُوْرِهَا.

وَكَمْ فِي المَصَائِبِ مَا يُذَكِّرُ النُفُوْسَ بِأَهَمِّ أُمُوْرِهَا.

وَكَمْ فِي الرَزَايَا مَا يَكْشِفُ بِجَلاءٍ أنَّ آمَالَ هَذِهِ الدُنْيَا سَرَابٌ، وَأنَّ كُلَّ الذِيْ فَوْقَ التُرَابِ تُرَابٌ.

وَإنَّنِيْ إذ أَسْتَجِيْبُ لِرَجَاءِ الرَاجِيْنَ، وَأُقَدِّمُ هَذَا الكِتَابَ الذِيْ يَحْمِلُ غِلافُهُ صُوْرَةَ قَبْرِ أُمِّيْ أَفَاضَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ شَآبِيْبِ رَحَمَاتِهِ، لأَرْجُوْ مِنَ القُرَّاءِ دَعْوَةً صَادِقَةً صَالِحَةً فِيْ ظَهْرِ الغَيْبِ لِيْ ولأُمِّيْ وَأَبِيْ رَحِمَهُمَا اللهُ؛ لأَنَّنِيْ وَإيَّاهُمَا اليَوْمَ وَكُلَّ يَوْمٍ أَحْوَجُ مَا نَكُوْنُ إِلَيْهَا؛ فَهِيَ مَا بَقِيَ لَنَا مِنَ الدَعَوَاتِ المُسْتَجَابَةِ بَعْدَ أنِ انْقَطَعَتْ دَعَوَاتُ الوَالِدَيْنِ.

أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِهِ العُلَى أنْ يَرْحَمَ أُمِّيْ وَأَبِيْ رَحْمَةً وَاسِعَةً تُغْنِيْهِمَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهَا. وَأنْ يَفْسَحَ لَهُمَا فِيْ قَبْرَيْهِمَا، وَأنْ يَمْلأَهُمَا بِالضِيَاءِ وَالنُوْرِ، وَأنْ يَجْعَلَهُمَا رَوْضَتَيْنِ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ، وَأنْ يَجْزِيَهُمَا خَيْرَ مَا جَزَى أَبَوَيْنِ عَنْ أَوْلادِهِمَا، وَأنْ يَشْمَلَنِيْ وَإِيَّاهُمَا مَنّاً مِنْهُ وَفَضْلاً بِعَفْوِهِ وَغُفْرَانِهِ، وَأنْ يَجْمَعَنِيْ بِهِمَا في

الفِـــرْدَوْسِ الأَعْـــلَى مـــِنْ جـــنَانِهِ، وَأَنْ يَغْفِـــرَ لِيْ وَلَـهُـمَـــا وَلِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالـمُؤْمِنَاتِ يَوْمَ يَقُوْمُ الأَشْهَادُ.

وَالـحَمْدُ للهِ عَلَى قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ. وَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِـعُـوْنَ.

الرياض: يوم الاثنين 10/8/1424هـ

الأستاذ الدكتور

صالح بن حسين بن عبدالله العايد

((أبو أسامة))

2779 شارع رازان/ حيّ الازدهار/ الوحدة 1

الرياض:12485- 6547

alaayeddr@gmail.com



اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

وَقْفَةٌ أَمَامَ الـمَوْتِ

◉ عَجَباً لِلمَـوْتِ، ذَلِكُمُ الـحَوْضُ الـمَوْرُوْدُ....

كُلُّ حَيٍّ مَهْمَا طَالَ عُمُرُهُ سَيَرِدُهُ بِـلا رَيْبٍ كَارِهاً أَوْ مُطِيْعاً:

الـــــمَوْتُ حَـــــوْضٌ لا مَحَالَـــــةَ دُوْنَـــــهُ

مُـــــرٌّ مَذَاقَتُـــــهُ كَرِيْـــــهٌ مَـــــشْـــرَبُهْ(15)

◉ عَجَباً لأبي يَحْيَى (الـمَوْتِ)، ذَلِكُمُ الكَأْسُ الـمَشْرُوْبُ....

كُلُّ حَيٍّ سَيَتَجَرَّعُ مِنْهُ شَرْبَةً غَيْرَ سَائِغَةٍ وَلا هَنِيَّةٍ:

الـــمَوْتُ كَـــأْسٌ عَـــلَى كُـــلِّ الـــوَرَى جَـــارِيْ

وَلَـــيْسَ يَبْقَـــى بِـــلا مَـــوْتٍ سِـــوَى البَـــارِيْ(16)

◉ عَجَباً لِـهَادِمِ اللَذَّاتِ وَمُفَرِّقِ الـجَمَاعَاتِ، وَعَجَباً لِـمُخَرِّبِ الدُوْرِ وَعَامِرِ القُبُوْرِ (الـمَـوْتِ)، ذَلِكُمُ البَابُ الـمَفْتُوْحُ.... كُـلُّ إِنْسَانٍ لا بُـدَّ رَاغِـمـاً سَيَدْخُلُهُ:

الـــمَوْتُ بـــابٌ وَكُـــلُّ النَـــاسِ دَاخِلُـــهُ

فَلَيْـــتَ شِـــعْرِيَ بَعْـــدَ البَـــابِ مَـــا الـــدَارُ؟

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

لَـــوْ كُنْـــتُ أَعْلَـــمُ مَـــنْ يَـــدْرِيْ فَـيُخبِـــرُنِيْ

أَجَنَّـــــةُ الـــــخُلْدِ مَـأْوَانــــا أَمِ النَـــــارُ؟[17]

◉ عَجَباً لِلْمَــوْتِ بـأَيِّ اسْمٍ تَسَمَّى... و بـأَيِّ كُنْيَةٍ تكَنَّى... وَبـأَيِّ لَقَبٍ تَلَقَّبَ؛ فَكُلُّ الطُرُقِ تُؤَدِّيْ إِلَيْهِ، سَرِيْعِهَا وَبَطِيْئِـهَا، بَرِّهَا وَبَحْرِهَا وَجَوِّهَا:

سَبِــــيْلُ الـمَــــوْتِ غَــــايَةُ كُــــلِّ حَــــيٍّ

فَدَاعِيْـــــهِ لأَهْـــــلِ الأَرْضِ دَاعِـــــيْ[18]

وَأَعْجَبُ مِنْهُ بُنَيُّ آدَمَ؛ كَأَنَّهُ يَسْتَبْطِئُهُ إذا تَأَخَّرَ عَنْهُ، فَيَغُذُّ السَيْرَ جَاهِداً صَوْبَهُ، وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّ في هَذَا خَلاصَهُ، وَمَا يَدْرِي الـمِسْكِيْنُ أَنّهُ يُسْرِعُ بِـخُطَاهُ إِلى وُرُوْدِ حِيَاضِ الـمَنَايَا:

وَكَـــمْ مِـــنْ طَــالِبٍ يَـــسْعَى لأَمْـــرٍ

وَفِـــيْهِ هَلاكُـــهُ لَـــوْ كَـــانَ يَـــدْرِيْ[19]

◉ ورُبَّ سَـاعٍ إِلى شَيْءٍ فِيْهِ حَـتْـفُـهُ.

◉ وَ(**رُبَّ امْرِئٍ حَتْفُهُ فِيْمَا تَـمَنَّاهُ**)[20].

◉ وَكَمْ مِنْ سَالِكٍ طَرِيْقاً لِيَلْقَى فِي نِهَايَتِهِ وِرْدَهُ وَمُنْتَهَاهُ:

نَسِيْرُ إلى الآجَالِ في كُلِّ لَحْظَةٍ
وَأَيَّامُنَا تُطْوَى وَهُنَّ مَرَاحِلُ
وَلَمْ أَرَ مِثْلَ المَوْتِ حَقّاً كَأَنَّهُ
إذا مَا تَخَطَّتْهُ الأَمَانِيُّ بَاطِلُ (21)

وَهَا هِيَ ذِيْ أَيَادِيْنَا مَا بَرِحَتْ مُعَفَّرَةً بِالتُرَابِ، تُهِيْلُهُ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى أَصْحَابٍ وَأَحْبَابٍ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَفَدَيْنَاهُمْ دُوْنَ المَوْتِ وَأَهْوَالِهِ بِالنَفْسِ وَالنَفِيْسِ، وَبِالطَارِفِ وَالتَلِيْدِ، وَلَكِنَّهُ المَوْتُ، لا يَقْبَلُ العِوَضَ وَلا الفِدَاءَ، وَإلا لَكُنَّا افْتَدَيْنَا، وَأَغْلَيْنا الفِدَاءَ وَمَا بَخِلْنَا:

وَلَوْ أنَّ هَذَا المَوْتَ يَقْبَلُ فِدْيَةً
فَدَيْنَاهُ أَمْوَالاً كِرَاماً وَأَنْفُسَا(22)

كَما أنَّهُ لا يَسْمَحُ بالإِرْجَاءِ، حَتَّى لَوْ كَانَ المُرْتَجَى إِرْجَاؤُهُ أَحَبَّ الأَحْبَابِ، أَباً أَوْ أُمّاً؛ لأَنَّهُ المَوْتُ، وَالمَوْتُ سَيْفٌ مَسْلُوْلُ لا تَرُدُّهُ شَجَاعَةُ الأَشِدَّاءِ، وَ لا يُنجيْ مِنْهُ جُبْنُ الجُبَنَاءِ، وَلا يَسْلَمُ مِنْهُ مَلِكٌ نَافِذُ الأَمْرِ، وَلا فَقِيْرٌ خَامِلُ الذِكْرِ:

لَكِنَّـــهُ الـــمَوْتُ لا يُرْضِـــيْهِ بَـــذْلُ فِـــدًى

وَلا يُـــــصِيْخُ إلى عَـــــذْلٍ وَلا فَنَـــــدِ

وَلا يَـــرِقُّ لِـــذِيْ ضَـــعْفٍ وَذِيْ خَـــوَرٍ

وَلا يُحَـــاذِرُ بَطْـــشَ الفَـــارِسِ النَجِـــدِ

يَـــأْتِي الـــمُلُوْكَ مُلُـــوْكَ الأَرْضِ مُقْـــتَحِماً

وَيُخْـــرِجُ الـــشِبْلَ مِـــنَ عِرِّيْـــسَةِ الأَسَـــدِ(23)

بَلْ حَيَاتُنَا آجَالٌ مُقَدَّرَةٌ، لا تَتَقَدَّمُ وَلا تَتَأَخَّرُ، وَأَنْفَاسٌ مَعْدُوْدَةٌ، لا تَزِيْدُ، وَلا تَنْقُصُ، وَإذا حَضَرَتِ الآجَالُ افْتُضِحَتِ الآمَالُ: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: 61].

أَجَلْ، إنَّـهُ الـمَوْتُ....

وَالـمَوْتُ في مَوَازِيْنِ الـحُكَمَاءِ الـمُعْتَبَرِيْنَ أَشَدُّ مِمَّا قَبْلَهُ، وَلَكِنَّهُ بلا رَيْبٍ أَهْوَنُ مِمَّا بَعْدَهُ:

هُـــوَ الـــمَوْتُ لا مَنْجَـــى مِـــنَ الـــمَوْتِ وَالـــذِيْ

نُحَـــاذِرُ بَعْـــدَ الـــمَوْتِ أَنْكَـــى وَأَفْظَـــعُ(24)

فَبَعْدَهُ ظَلامُ القُبُوْرِ، وَهَوْلُ النُشُوْرِ:

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

وَمِـــنْ بَعْـــدِ ذَا حَـــشْرٌ وَنَـــشْرٌ وَمَوْقِـــفٌ

وَيَـــوْمٌ بِـــهِ يُكْـــسَى الـــمَذَلَّةَ مُـــذْنِبُ(25)

إِيْ وَاللهِ بَعْدَهُ يَوْمٌ عَسِيْرٌ، شَرُّهُ مُسْتَطِيْرٌ، فِيْهِ تَتَعَالَى صَيْحَاتُ الوَيْلِ وَالثُّبُوْرِ مِنْ أَصْحَابِ الغِوَايَةِ وَالفُجُوْرِ، وَلَوْلا ذَلِكَ الـمَآلُ والـمَصِيْرُ لَصَارَ الـمَوْتُ مَطْلباً لِكُلِّ إِنْسَانٍ إذا ضَاقَ بِـهِ الـمُقَامُ فِي دَارِ الشَقَاءِ وَالـهَوَانِ:

وَلَـــــوْ أنـــــَّا إذا مِتْنَـــــا تُرِكْنَـــــا

لَكَـــانَ الـــمَوْتُ رَاحَـــةَ كُـــلِّ حَـــيِّ

وَلَكِنَّـــــا إذا مِتْـــــنَا بُعِثْنَـــــا

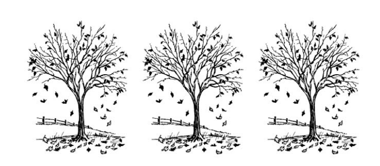
وَنُـــسْأَلُ بَعْـــدَهُ عَـــنْ كُـــلِّ شَيِّ(26)

وَلِذَا فَمَنْ تَرَقَّبَ الـمَوْتَ لَـهَا عَنِ الـمَلَذَّاتِ، وَمَنِ اشْتَاقَ إِلى الـجَنَّةِ سَارَعَ إلى الـخَيْرَاتِ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَارِ فَرَّ عَنِ الشَهَوَاتِ وَالشُبُهَاتِ، وَمَنْ زَهِدَ فِي الدُنْيَا هَانَتْ عَلَيْهِ الـمُصِيْبَاتُ، وَمَنْ فُتِحَ لَهُ بَابٌ مِنَ الـخَيْرِ فَلْيَنْتَهِزْهُ؛ فَإِنَّهُ لا يَدْرِيْ مَتَى يُغْلَقُ عَنْهُ؟،

وَلَيْسَ بَعْدَ الـمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ، وَلا بَعْدَ الدُنْـيَا مِنْ دَارٍ إلا الـجَنَّةُ أَوِ النَارُ:

فَيَـــا أَيُّـــهَا البَاغِـــي الفِـــرَارَ أَمَامَـــهُ

هُــوَ الـمَوْتُ فـاعْلَمْ أنــَّهُ سَـوْفَ يَلْحَـقُ (27)



الطَرِيْقُ إلى المَوْتِ

قَبْلَ أَيـَّامٍ قَدِمَتْ مَنْ كُنْتُ أَتَـمَنَّى قُدُوْمَهَا كُلَّ حِيْنٍ، وَأَرَى في لُقْيَاهَا عِـيْدِيَ الـحَقِـيْقِـيَّ، أَتَـتْ مَـنْ كَانَـتْ طَلْعَـةُ مُحَيَّاهَـا تُزِيْـلُ هُمُوْمِــيْ، وَتُكْـشَفُ بِــهَا بِـفَـضْلِ اللهِ غُمُـوْمِيْ، وَتَغْمُـرُ قَلْبِــيْ بِـالسَعَادَةِ وَالـحُبُوْرِ.

أَجَلْ، لَقَدْ قَدِمَتْ أُمِّيْ إِلَيْنَا في الرِيَاضِ، وَلَكِنَّهَـا في هَـذِهِ الـمَرَّةِ أَتَتْ، وَهِيَ تُعَانِي انْسِدَاداً في أَحَدِ شَرَايِـيْنِ قَلْبِــهَا الـذِيْ أَضْـنَاهُ حَنَانُ الأُمُوْمَةِ وَإِشْفَاقُهَا، جَاءَتْ آمِلَةً أَنْ يَزُوْلَ التَعَبُ اليَسِـيْرُ مِـنْ صَـدْرِهَا، وَلا سِـيَّمَا أنـَّهَا قَـدْ عَلِمَـتْ أَنَّ عَمَلِـيَّاتِ (القَـسْطَرَةِ) القَلْبِــيَّةَ أَصْبَحَتْ مِنْ أَيْسَرِ الأُمُوْرِ الطِبِّــيَّةِ:

إذا مَـــا حِمَـــامُ الــــمَرْءِ كَـــانَ بِـــــبَلْدَة
دَعَتْــــهُ إِلَيْهَــــا حَاجَـــــةٌ فَيَطِـــــيْرُ[28]

أُدْخِلَتْ أُمِّيَ الـمُسْتَشْفَى تَحُوْطَهَا الدَعَوَاتُ الصَادِقَاتُ مَرْفُوْعَةً إِلى رَبِّ الأَرْبَابِ أَنْ يَمُـنَّ عَلَيْهَـا بِــاكْتِمَالِ العَافِـيَةِ مَوْلانَـا العَزِيْـزُ الوَهَّابُ.

وكَانَ لَهَا مَا أَرَادَتْ، وَنَحْنُ مِثْلُهَا، فَأَجْرَى لَهَا الأَطِبَّاءُ عَمَلِيَّةَ القَسْطَرَةِ، وَنَجَحَتْ بِتَوْفِيْقِ اللهِ، وَقَدَّمَ طَبِيْبُهَا وَصْفَةَ الدَوَاءِ اللازِمِ لِمَا بَعْدَ العَمَلِيَّةِ، وَخَرَجَتْ وَالِدَتِيْ مِنَ المُسْتَشْفَى بِعَافِيَةٍ، وَلَكِنْ؛ لِيَجْرِيَ المُقَدَّرُ أَجَّلَتْ صَيْدَلِيَّةُ المُسْتَشْفَى إِعْطَاءَ بَعْضِ الأَدْوِيَةِ اللازِمَةِ ثَلاثَةَ أيَّامٍ؛ لأَنَّهَا لَمْ تكُنْ مُتَوافِرَةً حِيْنَذَاكَ لَدَيْهَا!!!.

وَبَعْدَ ثَلاثَةِ أيَّامٍ شَعَرَتْ أُمِّيْ بالأَعْرَاضِ الخَفِيْفَةِ نَفْسِهَا التي كَانَتْ تُعَانِيْهَا مِنْ قَبْلُ، وَكَانَتِ المُفَاجَأَةُ أنَّ الشِرْيَانَ نَفْسَهُ قَدْ عَادَ إِلَيْهِ الانْسِدَادُ، وَلَكِنَّ الأَشَدَّ فُجَاءَةً أنَّ حُدُوْثَ ذَلِكَ -كَمَا قَالَ الطَبِيْبُ نَفْسُهُ- كَانَ بِسَبَبِ تَأْجِيْلٍ لِتَنَاوُلِ أَحَدِ الأَدْوِيَةِ، وَهُوَ الذِيْ لَمْ يَكُنْ مُتَوَافِراً في صَيْدَلِيَّةِ المُسْتَشْفَى!!!.

عِنْدَ ذاكَ قَرَّرَ الطَبِيْبُ إِدْخَالَهَا إلى العِنَايَةِ المُرَكَّزَةِ فَوْراً اِسْتِعْدَاداً لإِجْرَاءِ عَمَلِيَّةِ قَسْطَرَةٍ أُخْرَى لهَا، وَلَكِنْ؛ وَلِيَجْرِيَ أَيْضاً مَا قَضَاهُ اللهُ وَقَدَّرَهُ، عَمَدَ الأَطِبَّاءُ قَبْلَ ذَلِكَ اجْتِهَاداً مِنْهُمْ إلى إِعْطَائِهَا حُقْنَةً

تُسْتَعْمَلُ عَادَةً فِي إِزَالَةِ انْسِدَادَاتِ الشَرَايِيْنِ؛ عَسَى أَنْ يُغْنِيَهُمْ ذَلِكَ الصَنِيْعُ العَاجِلُ بِإِذْنِ اللهِ وَعَوْنِهِ عَنْ إِجْرَاءِ العَمَلِيَّةِ مَرَّةً أُخْرَى:

◉ **(وَإِذا حَانَ وَقْتُ النَائِبَةِ أَتَى الشَرُّ مِنْ حَيْثُ كَانَ الخَيْرُ عَادَةً يَأْتِي).**

◉ وَمَهْمَا اجْتَهَدْنَا فِي أَنْوَاعِ الدَوَاءِ فَأَمْرُ اللهِ أَنْفَذُ؛ فَقَدْ يَغَصُّ بِالمَاءِ شَارِبُهُ، وَقَدْ يَقْتُلُ الدَوَاءُ المُسْتَشْفِي بِهِ:

كَمْ شَارِبٍ عَسَلاً فِيْهِ مَنِيَّتُهُ

وَكَمْ تَقَلَّدَ سَيْفاً مَنْ بِهِ ذُبِحَا[29]

وَالدَوَاءُ إِنَّمَا هُوَ سَبَبٌ مِنَ الأَسْبَابِ تُسْتَمْطَرُ بِهِ رَحْمَةُ الكَرِيْمِ الوَهَّابِ، لَكِنَّ الأَقْدَارَ مِنَ السَبَبِ أَحَقُّ، وَإِلى المَكْتُوْبِ أَسْبَقُ:

نُعَلَّلُ بِالدَوَاءُ إِذا مَرِضْنَا

وَهَلْ يَشْفِيْ مِنَ المَوْتِ الدَوَاءُ

وَنَخْتَارُ الطَبِيْبَ وَهَلْ طَبِيْبٌ

يُؤَخِّرُ مَا يُقَدِّمُهُ القَضَاءُ

وَمَـــــا أَنْفَــــــاسُنَا إلا حِــــــسَابٌ

وَلا حَرَكـــــــــاتُنَا إلا فَنَـــــــــاءُ[30]

وَإِنْ أَنْـسَ فَـلا يُمْكِـنُ أَنْ أَنْـسَى حِـيْنَ انْتَهَـى وَقْـتُ الزِيَـارَةِ الـمَسَائِـيَّةِ حَيْثُ كَانَتْ أُمِّيْ تَقُوْلُ لِيْ، وَهِيَ تَحْمَدُ اللهَ: إِنَّهَا لَـمْ تَعُدْ تَشْعُرُ إلا بِـوَخْزٍ يَسِـيْرٍ في الظَهْرِ.

ثُـمَّ وَدَّعْتُ حَبِـيْبَةَ القَلْـبِ (أُمِّيْ) عِنْدَ السَاعَةِ التَاسِعَةِ تَماماً، وَتَرَكْـتُ غُرْفَتَهَـا بَعْـدَ أنْ أَوْدَعْتـُهَا رَبِّيْ، ثُـمَّ أَوْدَعْتـُهَا قَلْبِـــيْ، وَانْصَرَفْتُ عَنْهَا، وَهِيَ تَلْهَجُ بِـحَمْدِ رَبِّهَا تَسْبِـيْحاً وَتَهْلِيْلاً، وَمَـنْ يَرَاهَا لا يَخَالُهَا إلا في كَمَالِ عَافِيَتِهَا؛ فَهِيَ دَائِماً صَابِـرَةٌ مُحْتَسِبَةٌ؛ لأَنَّـهَا مِنَ الذِيْنَ يُؤْلِـمُهُمْ أنْ يَرَى النَاسُ آلامَهُمْ، عَلَى حِيْنِ يَرْتَاحُ الكَثِـيْرُ مِنَ البَشَرِ أنْ يُثَرْثِرُوا بِـمَتَاعِبِهِمْ وَشَكْوَاهُمْ مِمَّا يُلِمُّ بِـهِمْ لِغَـيْرِ اللهِ رَبِّ العَالَـمِيْنَ.

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيانِيْ صَغِيْراً

وَلَمْ أَكُنْ أَدْرِيْ أنَّهُ سَيَكُوْنُ لِهَذَا الوَدَاعِ مَا بَعْدَهُ؛ فَعِنْدَ السَاعَةِ الثَانِيَةِ بَعْدَ مُنْتَصَفِ اللَيْلِ إذا بِالهَاتِفِ الجَوَّالِ يَرِنُّ، وَيُلِحُّ فِي النِدَاءِ، وَتِلْكَ سَاعَةٌ لا تُطْرَقُ فِيْهَا الطَيْرُ في أَوْكَارِهَا، فَأَرَاعَ ذَلِكَ قَلْبِيْ وَأَفْزَعَنِيْ؛ إذ رَجَّحْتُ أنَّهُ قَدْ حَدَثَ مَكْرُوْهٌ، وَتَوَقُّعُ المُصِيْبَةِ عَادَةً أَشَدُّ هَوْلاً مِنْ وُقُوْعِهَا إلا في تِلْكَ السَاعَةِ العَصِيْبَةِ، وَتِلْكَ الفَاجِعَةِ المُصِيْبَةِ.....

نَهَضْتُ مِنْ فِرَاشِيْ فَزِعاً مَذْعُوْراً، أَسْأَلُ المَوْلَى -جَلَّ جَلالُهُ- اللُطْفَ فِي قَضَائِهِ، وَأَعْثُرُ فِي مِشْيَتِيْ أَنَّى اتَّجَهْتُ بِوَجْهِيْ، وَحِيْنَ أَبْصَرْتُ بِعَيْنٍ غَابَ بِالنَوْمِ نِصْفُ نَظَرِهَا، وَرَأَيْتُ عَلَى شَاشَةِ الهَاتِفِ الجَوَّالِ اِسْمَ (**إِبْرَاهِيْمَ**) أَخِيْ، وَهُوَ أَبَرُّنَا بِأُمِّهِ، وَكُلُّ إِخْوَتِيْ وَأَخَوَاتِيْ بِحَمْدِ اللهِ بَرَرَةٌ، وَلَكِنْ أَشْهَدُ لـ(**إِبْرَاهِيْمَ**) أَنَّهُ مَا مَاتَ مَنْ خَلَّفَ مِثْلَهُ.

أَقُوْلُ: حِيْنَذَاكَ أَيْقَنْتُ أنَّهُ قَدْ حَصَلَ لأُمِّيْ مَا لا أَتَمَنَّى سَمَاعَهُ، فَغَشِيَتْنِيْ غِشَاوَةٌ، ثُمَّ اسْتَرْجَعْتُ، وَقُلْتُ: (حَسْبُنَا اللهُ، وَنِعْمَ

الوَكِيْلُ)، وَاسْتَمَعْتُ إِلَيْهِ بِـمَا بَقِيَ مِنْ حَـوَاسِّيْ، وإذا بِـهِ يَقُـوْلُ: إِنَّ الـمُسْتَشْفَى اتَّصَلُوْا بِـهِ، وَأَخْبَرُوْهُ أَنَّ وَالِدَتَنَا حَصَلَ نَزِيْفٌ دَاخِلِيٌّ فِي رَأْسِهَا، وَأَنَّـهَا تَحْتَاجُ إِلى عَمَلِيَّةٍ عَاجِلَةٍ لِسَحْبِ الدَمِ مِنَ الرَأْسِ.

هَبَبْتُ مُسْرِعاً إِلى الـمُسْتَشْفَى، وَهُنَاكَ وَجَدْتُ أَخِيْ (**إِبْرَاهِيْمَ**) قَـدْ سَـبَقَنِيْ كَعادَتِـهِ فِي مَيَـادِيْنِ الـمَآثِرِ، فَظَلَلْـتُ مَعَـهُ قُـرْبَ غُرْفَـةِ العَمَلِـيَّاتِ سَـاعَاتٍ خَمْـساً نَنْتَـظِرُ نَتِيْجَـةَ العَمَلِـيَّةِ انْـتِـظَـارَ الـمُعْسِرِ لِلْيُسْرِ.

وَنَـتَحَرَّى خُـرُوْجَ أُمِّـيْ تَحَـرِّيَ الـصَائِمِ لِـسَاعَـةِ الـفِطْرِ.

وَنَتَلَهَّـفُ لِـسَمَاعِ بُـشْرَى مُبَـشِّرٍ عَنْهَـا تَلَهُّـفَ الـمُجْدِبِ لِنُـزُوْلِ القَطْرِ.

بَلْ نَتَرَقَّبُ أَيَّ خَبَرٍ تَرَقُّبَ السَاهِرِ لِطُلُوْعِ الفَجْرِ.

وَمَا كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ للانْتِظَارِ حُرْقَةً تَتَفَطَّرُ لَـهَا الأَكْبَادُ، وَتَشْحَبُ لَـهَا الوُجُوْهُ، إلا فِي تِلْكَ السَاعَاتِ العَسِـيْرَةِ التـيْ رَحِـمَـنَا فِـيْـهَـا كُـلُّ مَنْ رَآنَـا وَنَـحْـنُ نُكَـابِـدُ طُـوْلَ الإِنْـتِـظَـارِ: (**وَطُوْلُ الإِنْتِظَارِ ضَرْبٌ مِنْ الـحِدَادِ**).

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

وَبَعْدَ انْتِظَارٍ مَرِيْرٍ أُخْرِجَتْ أُمِّيْ مِنْ غُرْفَةِ العَمَلِيَّاتِ، وَلَكِنَّهَا مَعَ الأَسَفِ خَرَجَتْ جَسَداً لا حِرَاكَ بِهِ، فَبَقِيْنَا سَاعَاتٍ أُخْرَى خَمْساً نَنْتَظِرُ إِفَاقَتَهَا، وَفِيْنَا يَتَصَارَعُ الغَرِيْمَانِ: الأَمَلُ المُنْتَظَرُ، وَاليَأْسُ المَحْذُوْرُ، فَاحْتَاجَ الفَصْلُ بَيْنَهُمَا إِلى فُحُوْصَاتٍ جَدِيْدَةٍ وَدَقِيْقَةٍ لأُمِّيْ بِالأَشِعَّةِ المَقْطَعِيَّةِ، لِيَأْتِيَ بَعْدَهَا الخَبَرُ الطِّبِّيُّ الذِيْ يَقْطَعُ الشَكَّ بِاليَقِيْنِ، فَيَجْمَعَنَا أنَا وَإِخْوَتِيَ الطَبِيْبُ؛ لِيُخْبِرَنَا بَعْدَ أَنْ أَبْرَزَ لَنا مَا بَذَلَهُ مَعَ زُمَلائِهِ مِنْ جُهُوْدٍ مُضَاعَفَةٍ، بأنَّ وَالِدَتَنَا قَدْ أُصِيْبَتْ فِي الجُزْءِ الآخَرِ مِنَ الرَأْسِ بِنَزِيْفٍ أَيْضاً، وَأنَّ جَلْطَةً دِمَاغِيَّةً كَبِيْرَةً أَصَابَتْهَا، وَأنَّ الاِحْتِمَالَ الرَاجِحَ لَدَيْهِ هُوَ أنَّهَا لَنْ تُفِيْقَ، وَأنَّهَا سَتَظَلُّ عَلَى أَجْهِزَةِ التَنَفُّسِ وَالتَغْذِيَةِ، وَتَحْتَ الرَقَابَةِ الدَقِيْقَةِ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُوْلاً:

إنَّ الطَبِيْبَ لَهُ فِي الطِبِّ مَعْرِفَةٌ

مَا دَامَ فِي أَجَلِ الإِنْسَانِ تَأْخِيْرُ

حَتَّى إذا مَا انْقَضَتْ أَيَّامُ مُدَّتِهِ

حَارَ الطَبِيْبُ وَخَانَتْهُ المَقَادِيْرُ[31]

وَلَمْ يَكُنْ حِيْنَذَاكَ أَمَامِيْ وَأَمَامَ إِخْوَتِيَ المَكْلُوْمِيْنَ مِثْلِيْ بِهَذا المُصَابِ الجَلَلِ إلا أنْ نَقُوْلَ صابِرِيْنَ مُؤْمِنِيْنَ مُحْتَسِبِيْنَ: (**اللَّهُمَّ لا رَادَّ لِقَضَائِكَ وَقَدَرِكَ، وَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُوْنَ**).

وَبَكَى قَلْبِيْ عَلَى حَالِ أُمِّيْ شَجاً وَحُزْناً، وَحَشْرَجَتِ الدُمُوْعُ في حَلْقِيْ، وَتَمَنَّيْتُ لَوْ أنَّهَا سَالَتْ عَلَى الخَدِّ نَدِيَّةً؛ كَيْ تُخَفِّفَ بَعْضاً مِمَّا آلَمَ قَلْبِيْ مِنْ هَذِي البَلِيَّةِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ البَوْحَ المَعِيْبَ أَهْوَنُ عَلَى المَرْءِ المَفْجُوْعِ مِنْ جَسْرِ الدُمُوْعِ الدَاخِلِيَّةِ:

يُبَكِّيْ عَلَيْكِ القَلْبُ لا العَيْنُ إِنَّنِيْ

أَرَى القَلْبَ أَوْفَى بِالعُهُوْدِ وَأَكْرَمَا[32]

وَمَعَ ذَلِكَ البَلاءِ وَالمُصَابِ صَبَرْتُ صَبْرَ مُحْتَسِبٍ؛ لأنَّ أَفْضَلَ الأَشْيَاءِ عِنْدَ المَصَائِبِ الصَبْرُ، وَالمَحْبُوْرُ مَنْ حَبَرَهُ الثَوَابُ، وَالخَائِبُ مَنْ أَمِنَ العِقَابَ، وَالصَابِرُ تُعَجَّلُ لَهُ الرَاحَةُ، وَيُؤَجَّلُ لَهُ الثَوَابُ، وَالجَازِعُ يُرَدُّ إلى الصَبْرِ غَيْرَ مُثَابٍ، وَإِنَّ حَلاوَةَ الأَجْرِ لَسَوْفَ تُخَفِّفُ بِعَوْنِ اللهِ تَعَالَى مَرَارَةَ الصَبْرِ :

صَـــبَرْتُ لأنَّ الـــصَبْرَ خَـــيْرٌ مَغَـــبَّةً
وَلا جَـــزَعٌ يُجْـــدِيْ عَـــلَيَّ فَـــأَجْزَعُ

صَـــبَرْتُ عَـــلَى مَـــا لَـــوْ تَحَمَّـــلَ بَعْضَـــهُ
جِـــبَالُ شَرُوْرَى أَصْـــبَحَتْ تَتَـــصَدَّعُ

مَلَكْـــتُ دُمُـــوْعَ العَـــيْنِ ثُـــمَّ رَدَدْتُهَـــا
إلى نَـــاظِرِيْ فَـــالعَيْنُ فِي القَلْـــبِ تَـــدْمَعُ[33]



وَعِشْتُ كَمَا عَاشَ إِخْوَتِيْ وَأَخَوَاتِيْ مَا بَيْنَ اليَأْسِ وَبَصِيْصِ الأَمَلِ الذِيْ لا يَنْتَظِرُهُ غَيْرِيْ وَغَيْرُهُمْ، عِشْنَا سَبْعَةَ عَشَرَ يَوْماً، وَكُنْتُ أُجَاهِدُ خِلالَهَا نَفْسِيْ عَلَى الظَفَرِ بِحَلاوَةِ الإِيْمَانِ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، وَبِمُدَافَعَةِ وَسَاوِسِ الشَيْطَانِ الذِيْ كَانَ مَا يَفْتَأُ يُذَكِّرُنِيْ بِقَوْلِ الشَاعِرِ:

إذا مَـــا مَـــاتَ بَعْـــضُكَ فَابْـــكِ بَعْـــضاً
فَـــإِنَّ الـــبَعْضَ مِـــنْ بَعْـــضٍ قَرِيْـــبُ[34]

وَكَانَ الشَيْطَانُ الرَجِيْمُ حَرِيْصاً عَلَى أَنْ يَجْذِبَنِيْ إلى حَمْأَةِ اليَأْسِ وَكَآبَةِ القُنُوْطِ.

وَتَوَاصَلَتْ زِيَارَاتِيْ لأُمِّيَ المُسَجَّاةِ عَلَى السَرِيْرِ الأَبْيَضِ، وَكَانَ خِلالَ الزِيَارَاتِ قَلْبِيَ الشَجِيُّ قَبْلَ لِسَانِيَ النَدِيِّ يُرَدِّدُ بِحَسْرَةٍ وَأَسًى:

أَعْـــزِزْ عَـــلَيَّ بِـــأَنْ أَزَوْرَكِ عَائِـــداً

أَوْ أَنْ أَرَى بِــــفِنَائِكِ العُــــوَّادَا(35)

وَكُنْتُ طَوَالَ أَوْقَاتِ الزِيَارَاتِ المَسْمُوْحِ بِهَا عَدِيْمَ الحَوْلِ والطَوْلِ، لا أَمْلِكُ لأُمِّيْ إلا الدُعَاءَ وَرُقْيَتَهَا بِقِرَاءَةِ القُرْآنِ الكَرِيْمِ الذِيْ مَا كَانَتْ أَكْثَرَ عُمُرِهَا لِتَفْتُرَ عَنْ سَمَاعِهِ مِنْ خِلالِ إذَاعَةِ القُرْآنِ الكَرِيْمِ، وَكُنْتُ لا أَمَلُّ مِنْ تَقْبِيْلِ رَأْسِهَا وَجَبِيْنِهَا وَخَدَّيْهَا وَيَدَيْهَا، وَمِنْ ثَمَّ أَخْرُجُ وَالحُزْنُ يَغْمُرُ قَلْبِيْ؛ لأَهِيْمَ فِي غَيْمَةٍ دَاكِنَةٍ مِنَ الكَآبَةِ وَالأَسَى لا تُخْفِيْ حَقِيْقَتَهَا الأَقْنِعَةُ المُتَصَنَّعَةُ التِيْ أَلْقَى بِهَا كُلَّ مَنْ أَلْقَاهُ:

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

تَائِـــــهٌ يَرْقـــــُبُ القـــــَمَرْ

حَـــــائِرٌ زَائـــــِغُ البَـــــصَرْ

خَـــــائِفٌ سَطـــــْوَةَ القـــــَدَرْ

سَـــــاهِرٌ مَلـــــَّهُ الـــــسَهَرْ

قَلـــــْبُهُ لَفـــــَّهُ الـــــضَجَرْ

ضَـــــائِقُ الـــــصَدْرِ مُنْكَـــــسِرْ

سِرُّهُ ذَاعَ وَانْتَـــــــــــشَرْ

يَمْـــــلأُ الـــــسَمْعَ وَالنَظـــــَرْ

حُلـــــْوُهُ الـــــصَبْرُ بَـــــلْ أَمَـــــرْ

مُـــــرُّهُ قَطـــــْرَةُ المَطـــــَرْ

صَـــــبْرُهُ خَانَـــــهُ الظـــــَفَرْ

مَـــا مَـــعَ الـــمَوْتِ مُـــصْطَبَرْ

زَادُهُ الغَـــــــمُّ وَالـــــــحَذَرْ

شـــــُرْبُهُ دَمْعَـــــةُ الكـــــَدَرْ

بَوْحُـــــهُ صَرْخـــــَةُ القـــــَهَرْ

صَمْتـــــُهُ أَبْلـــــَغُ العِـــــبَرْ

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

إِنْ شَـــكَا عِيْـــبَ فَانـــتَهَرْ
أَوْ بَكَـــى لِـــيْمَ فَـــازْدَجَرْ
فَلْـــتَكُ الحِـــيْلَةُ الـــصَبَرْ(36)



وَمِنْ عَجَائِبِ أَفْكَارِيْ طَوَالَ الأيَّامِ العَصِيْبَةِ أَنَّنِـيْ في مَرَّاتٍ غَـيْرِ قَلِيْلَةٍ تَمَنَّيْتُ أَنْ تَكُوْنَ أُمِّيْ مُقْعَدَةً، إِيْ وَاللهِ تَمَنَّيْتُهَا مُقْعَدَةً؛ حَيْثُ كُنْتُ أَلْتَفِتُ يَمِيْناً وَشِمَالاً حَوْلَ سَرِيْرِهَا نَحْوَ الـمَرْضَى القَابِـعِيْنَ مَعَهَا في العِنَايَةِ الـمُرَكَّزَةِ، فَأَرَى مَرِيْضاً مُلازِماً لِسَرِيْرِهِ لا يَسْتَطِيْعُ النُزُوْلَ عَنْهُ؛ مِنَ الضَعْفِ وَالإِجْهَادِ، وَآخَرَ بَلَغَ بِـهِ الإِعْيَاءُ أَنَّـهُ لا يَتَكَلَّمُ إلا هَمْساً، فَأَتَمَنَّى أَنْ تَعُـوْدَ أُمِّيْ، وَلَـوْ عَلَى مِثْـلِ حَالَـةِ هَـذَا، أَوْ مِثْلِ حَالَةِ ذَاكَ.

أَرَأَيْتُمْ قَبْلِـيْ إِنْسَاناً تَمَنَّى لأُمِّهِ مِثْلَ مَا تَمَنَّيْتُ لأُمِّيْ؟

أَعَلِمْتُمْ قَبْلِـيَ ابْناً بَخِلَ عَلَى أُمِّهِ بِالأَمَانِـيِّ الطَيِّبَةِ – وَهِـيَ الـمُحْتَاجَةُ إِلى أَعْظَمَ مِنْهَا – كَمَا بَخِلْتُ أَنَـا عَلَى أُمِّيْ؟

عَلَى رِسْلِكُمْ، لا تَعْجَلُوْا في عَذْلِيْ وَلا مَلامِيْ؛ إنَّهُ مِنْ فَرْطِ حُبِّيْ لأُمِّيْ، لَقَدْ كَانَ الشَيْطَانُ يُوَسْوِسُ لِيْ؛ لِيُوْقِعَنِيْ في شِرَاكِهِ، فَيَقُوْلُ لِيْ: مَا عَلَيْهِ أُمُّكَ هُوَ مَا عَنَاهُ الشَاعِرُ بِقَوْلِهِ:

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاحَ بِمَيْتٍ

إنَّمَا المَيْتُ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ(37)

وَكَانَ المُوَسْوِسُ المُوَشْوِشُ (**الشَيْطَانُ**) يُوَسْوِسُ وَيُوَشْوِشُ في رُوْعِيْ جَاهِداً، وَيَقُوْلُ لِيْ عَامِداً:

(إنَّ أُمَّكَ لا حَيَّةٌ فَتُرْجَى، وَلا مَيْتَةٌ فَتُنْسَى)

فَأَدْحَرُهُ رَاضِياً وَقَانِعاً بِأَنْ تَبْقَى لِيَ أُمِّيْ، وَلَوْ عَلَى هَذِهِ الحَالَةِ المُحْزِنَةِ، وَأَقُوْلُ في نَفْسِيْ:

(مَا نَزَالُ بِخَيْرٍ مَا بَقِيَ جَسَدُهَا بَيْنَنَا).

وَكُنْتُ في كُلِّ حِيْنٍ أَرَاهَا فِيْهِ عَلَى تِلْكَ الحَالَةِ مِنَ السُكُوْنِ الذي لا يُعَدُّ صَاحِبُهُ مِنَ الأَحْيَاءِ وَلا مِنَ الأَمْوَاتِ، أَجِدُ في تَقْبِيْلِ يَدَيْهَا وَرَأْسِهَا وَجَبِيْنِهَا لَذَّةً لَمْ أَتَذَوَّقْ مِثْلَهَا مِنْ قَبْلُ؛ فَهُوَ السَبِيْلُ الوَحِيْدُ البَاقِيْ للتَعْبِيْرِ عَنِ المَحَبَّةِ وَالإعْزَازِ.

اللهُمَّ يا خَيْرَ الرَاحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

وَلَقَدْ كَانَ النَاصِحُوْنَ يَنْصَحُوْنَنِي بِأَنْ أَسْأَلَ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُحْيِيَهَا مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْراً لَهَا، وَأَنْ يَخْتَارَ لَهَا الأُخْرَى مَا كَانَتِ الأُخْرَى خَيْراً لَهَا، وَإِنِّيْ لأَقُوْلُ الآنَ:

وَاللهِ الذِيْ لا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّنِيْ لَمْ تَقْبَلْ نَفْسِيْ أَنْ أَدْعُوَ بِهَذَا الدُعَاءِ المَأْثُوْرِ إلا ظُهْرَ اليَوْمِ الذِيْ فِيْهِ مَاتَتْ أُمِّيْ رَحِمَهَا اللهُ، وَلَسْتُ أَدْرِيْ لِمَاذا اسْتَجَابَتْ نَفْسِيْ لِذَلِكَ، وَقَبِلَتْ بِهِ فِي ذَاكَ اليَوْمِ؟.

وَمَا أَضْعَفَ ابْنَ آدَمَ!!!.

أَجَلْ، مَا أَضْعَفَ ابنَ آدَمَ!!!.

وَمَا أَوْهَنَ حَبْلَهُ!!!.

فَمَعَ جَبَرُوْتِهِ وَسَطْوَتِهِ يَنْتَابُهُ أَحْيَاناً ضَعْفٌ شَدِيْدٌ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ذا بَأْسٍ مَرِيْدٍ، فَيَقْنَعُ بِأَقَلِّ القَلِيْلِ الذِيْ كَانَ يَأْنَفُ مِنْ مِثْلِهِ مِنْ قَبْلُ حِيْنَمَا كَانَ يَلْبَسُ لَبُوْسَ ذِي الرَأْيِ الرَشِيْدِ:

فِي أَحَدِ الأَيَّامِ حَرَّكَتْ أُمِّيْ رِجْلَيْهَا حَرَكَاتٍ خَفِيْفَةً لا يُدْرِكُهَا إلا دَقِيْقُ المُلاحَظَةِ لَطِيْفُهَا، فَلا تَسْأَلُوْا عَنِ الأَفْرَاحِ وَالتَبَاشِيْرِ

الـمِلاحِ، لَقَدْ فَرِحَتْ بِـذَلِكَ أَعْمَاقُ القُلُوْبِ، وَطَارَتْ بِالـخَبَرِ الهَوَاتِفُ الـجَوَّالَةُ قَبْلَ الرُكْبَانِ.

وَاليَوْمَ أَقُوْلُ لِمَنْ يَعْتَبِرُ، وَلِكُلِّ مَنْ يُلْقِي السَمْعَ وَهُوَ شَهِيْدٌ:

كَمْ مِنَّا مَنْ يُحَرِّكُ كُلَّ أَطْرَافِهِ كَيْفَ يَشَاءُ....

وَتَعْمَلُ كُلُّ حَوَاسِّهِ بِانْتِظَامٍ كَمَا يُرِيْدُ....

وَيَتَقَلَّبُ فِي نِعَمِ اللهِ آنَاءَ اللَيْلِ وَالنَهَارِ....

وَمَعَ ذَلِكَ لا يَشْعُرُ بِقِيْمَةِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ!!!

لِـمَـاذَا؟

وَلِـمَـاذَا؟

ثُمَّ لِـمَـاذَا؟

لأنَّهُ بُنَيُّ آدَمَ ؛ يَتَنَعَّمُ مِنَ النِعَمِ بِمَا لا يُدْرِكُ قَدْرَهُ.

◉ **مَنْ مِنَّا مَنْ إذا رَفَعَ يَدَهُ تَذَكَّرَ أَنَّهَا نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ، فَحَمِدَ اللهَ عَلَيْهَا حَمْداً يُكَافِئُ نِعَمَهُ؟؟؟**

◉ **مَنْ مِنَّا إذا فَتَحَ عَيْنَيْهِ تَذَكَّرَ أَنَّهُمَا فَضْلٌ مِنَ اللهِ، فَشَكَرَ اللهَ عَلَيْهِمَا شُكْراً يُوَازِيْ أَفْضَالَهُ؟؟؟.**

◉ مَنْ مِنَّا إذا حَرَّكَ لِسَانَهُ تَذَكَّرَ أَنَّهُ هِبَةٌ مِنَ اللهِ ذِيْ التَفَضُّلِ والإنْعَامِ، فَلَمْ يَقُلْ بِهِ إلا حَقّاً وَصِدْقاً؟؟؟.

◉ مَنْ مِنَّا إذا حَمَلَتْهُ رِجْلاهُ تَذَكَّرَ أَنَّهُمَا مِنْ آلاءِ اللهِ عَلَيْهِ، فَلَمْ تَحْمِلاهُ إلا إلى مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ؟.

إِيْهِ إِنَّنَا -عِبَادَ الله - نَتَقَلَّبُ في أَرْضِ اللهِ الرَحْبَةِ، وَنَرْفُلُ فِيْ أَفْيَاءِ نِعَمِهِ وَآلائِهِ، وَلَكِنَّ الغَفْلَةَ دِثَارُنَا، وَالجُحُوْدَ لِحَافُنَا:

◉ كَمْ مِنْ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ غيرُ شَاكِرٍ !

◉ وَكَمْ مِنْ مُبْتَلًى غيرُ صَابِرٍ !

◉ كَمْ يُوَالِيْ لَنَا رَبُّنَا -جَلَّ جَلالُهُ- المَكْرُمَاتِ وَالنِعَمَ، وَمَعَ ذَلِكَ لا نَحْمَدُهُ حَقَّ حَمْدِهِ، وَلا نَشْكُرُهُ حَقَّ شُكْرِهِ، وَهُوَ الذِيْ أَسْبَغَ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ مَا لا نُحْصِيْهِ، وَنَحْنُ مَعَ ذَلِكَ لَسْنَا نَسْتَحْيِيْ مِنْ كَثْرَةِ مَا نَعْصِيْهِ، فَسُبْحَانَ مَنْ نِعَمُهُ عَلَيْنَا لا تُحْصَى مَعَ كَثْرَةِ مَا يُعْصَى:

تَعْصِيْهِ وَهْوَ يَسُوْقُ نَحْوَكَ دَائِماً

مَا لا تَكُوْنُ لِبَعْضِهِ تَسْتَأْهِلُ[38]

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

أَلا مَا أَحْلَمَ الـحَلِيْمَ رَبَّنَا العَفُوَّ الكَرِيْمَ بِـنَا!!!

وَمَا أَجْدَرَهُ بِـالشُكْرِ عَلَى جَمِيْلِ نَشَرَهُ، وَعَلَى قَبِـيْحٍ سَتَرَهُ، وَعَلَى عَـظِـيْـمٍ مَا أَبْلَى، وَعَلَى كَـثِـيْـرٍ مَا عَـفَـا !!!

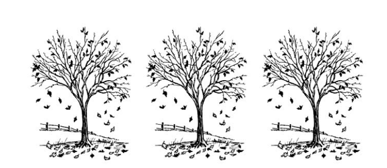


وَهَكَذَا تَتَابَعَتِ الأَيَّـامُ، زِيَارَاتٍ لأُمِّي الـحَبِـيْبَةِ فِي الـصَبَاحِ، وَزِيَارَاتٍ لأُمِّي الـحَبِـيْبَةِ فِي الـمَسَاءِ، وَالسُؤَالُ الـذِيْ لا أَمَلُّ مِـنْ تَوْجِيْهِهِ لِلطَاقَمِ الطِبِّيِّ كُلَّ حِيْنٍ، وَلا يَتَغَيَّرُ، هُـــوَ:

(هَلْ مِنْ أَخْبَارٍ جَدِيْدَةٍ لَدَيْكُمْ عَنْ أُمِّيْ؟)

وَكَانَ الـجَوَابُ مِنْهُمْ كُلَّ يَوْمٍ كَحَالِ أُمِّيْ لا يَتَغَيَّرُ هُوَ أَيْضاً:

(لا جَدِيْدَ؛ فَهِيَ كَحَالِـهَا أَمْسِ).



وَأَقْبَلْتُ بَعْدَ مَغْرِبِ يَوْمِ الأَرْبِعَاءِ (23/ 5/ 1424هـ) عَلَى الـمُسْتَشْفَى لِزِيَارَةِ الـمَسَاءِ كَالـمُعْتَادِ، وَعِنْدَ بَابِ الـمُسْتَشْفَى رَنَّ هَاتِفِيْ، وَإِذا بِاسْمِ أَبَرِّنَا بِأُمِّهِ **(إِبْرَاهِيْمَ)** يَظْهَرُ عَلَى الشَاشَةِ الصَغِيْرَةِ، وَلَنْ أَقُوْلَ لَكُمْ: إِنَّنِيْ صِرْتُ أَتَوَجَّسُ خِيْفَةً مِنِ اتِّصَالاتِهِ؛ لأَنَّ هَذِهِ ضَرِيْبَةُ بَذْلِ **(أَبِيْ نَوَّافٍ)** نَفْسَهُ بِرّاً بِوَالِدَتِهِ -جَزَاهُ اللهُ خَيْراً- وَلأَنَّهُ جَزَاءُ قُرْبِهِ الـمُسْتَمِرِّ مِنْهَا، وَحِيْنَ سَمِعْتُ صَوْتَهُ يَنْسَلُّ عَبْرَ الأَثِيْرِ مُنْكَسِراً يَقُوْلُ: اتَّصَلَ بِيَ مِنَ الـمُسْتَشْفَى مَنْ يُخْبِرُنِيْ بِأَنَّ أُمِّيْ فِي حَالَةٍ خَطِيْرَةٍ، اسْتَرْجَعْتُ، وَأَسْرَعْتُ الـخُطَى، وَفِي الـمَصْعَدِ سَأَلْتُ رَبِّيْ مِرَاراً الثَبَاتَ، وَيَمَّمْتُ صَوْبَ سَرِيْرِهَا مُسْرِعاً، وَحِيْنَ دَخَلْتُ بَابَ الغُرْفَةِ بَادَرَتْ عَيْنَايَ النَظَرَ إِلى الأَجْهِزَةِ الـمَوْصُوْلَةِ بِجَسَدِ أُمِّيْ، فإِذا هِيَ لا تَحْمِلُ أَرْقَاماً مُتَحَرِّكَةً كَالـمُعْتَادِ، بَلِ ارْتَسَمَتْ عَلَيْهَا عَلامَاتُ اسْتِفْهَامٍ فَقَطْ....!!!

فَأَدْرَكْتُ أَنَّ أَمْرَ اللهِ الـمَحْتُوْمَ قَدْ وَقَعَ.....

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

وَسَأَلْتُ الـمُمَرِّضَةَ الـجَالِسَةَ قُبَالَةَ أُمِّيْ: (هَلْ مَاتَتْ أُمِّيْ؟)

فَقَالَتْ بِـبُـرُوْدٍ عَجِـيْـبٍ: (لا أَدْرِيْ).

وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّهَا كَانَتْ تَدْرِيْ؛ لأنَّ مِثْلَ ذَلِكَ الأمْرِ لا يُمْكِنُ أنْ يَخْفَى عَلَى مِثْلِهَا، وَلَكِنَّهَا تَحَاشَتْ إِخْبَارِيْ، وَلا أَعْرِفُ سَبَباً لِذَلِكَ، لَقَدْ زَعَمَتْ أَنَّ الطَبِـيْبَ وَحْدَهُ هُوَ الـذِيْ يَعْرِفُ، فَـذَهَبَتْ لِتَـدْعُوَهُ، حَيْثُ جَاءَ مُسْرِعاً، فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ السُؤَالَ الـخَطِيْرَ مِنْ قَلْبِـي الكَسِيْرِ: (هَلْ مَاتَتْ أُمِّيْ؟).

فَقَالَ بِلا تَلَعْثُمٍ وَلا تَهَيُّبٍ؛ شَأْنُـهُ شَأْنُ مَنْ لا يَعْنِـيْهِ الأَمْرُ مِنْ قَرِيْبٍ وَلا بَعِيْدٍ: (نَعَمْ، مَاتَتْ قَبْلَ ثَـلاثِ دَقَائِقَ، وَتَعَالَ إِلَيْنَا فِي الغُرْفَةِ الـمُجَاوِرَةِ لِـمَلْءِ بَعْضِ البَيَانَاتِ !!!).

وَقَفَلَ رَاجِعاً مِنْ حَيْثُ أَتَى، وَتَرَكَنِـيْ وَحْدِيْ بِـجِـوَارِ أُمِّـيْ رَحِمَهَا اللهُ، وَكَأَنَّـهُ أَرَادَنِيْ أَنْ أُنَفِّسَ عَنْ بَعْضِ مَشَاعِرِيْ.

وَقَدْ كَانَ مَا كَانَ؛ إِذِ اسْتَدَارَتْ بِـيَ الغُرْفَةُ....

وَضَاقَتْ بِـيَ الأَرْضُ البَسِـيْطَةُ بِـمَا رَحُبَتْ....

وَتَوَارَى فَضَاؤُهَا الرَحْبُ الفَسِيْحُ خَلْفَ هَوْلِ فَجِيْعَتِي بِأُمِّيْ رَحِمَهَا اللهُ تَعَالَى:

كَأَنَّ بِلادَ اللهِ فِي ضِيْقِ خَاتَمٍ

عَلَيَّ فَمَا تَزْدَادُ طُوْلاً وَلا عَرْضَا[39]

بَلْ غَدَتِ الأَرْضُ الفَسِيْحَةُ مِنْ حَوْلِيْ كَسَمِّ الخِيَاطِ، بَلْ رُبَّمَا كَانَتْ هِيَ أَضْيَقَ....

مَا فِي الوُجُوْدِ أَعَزُّ مِنْ أُمِّيْ وَقَدْ

فَارَقْتُهَا وَالْقَلْبُ غَيْرُ جَمَادِ

الْقَلْبُ يَحْتَمِلُ الوَدَاعَ فَإِنْ يَكُنْ

لِلأُمِّ فَهْوَ مُفَتِّتُ الأَكْبَادِ[40]

وَلَكِنَّ اللهَ بِحَوْلِهِ وَطَوْلِهِ ثَبَّتَنِيْ ؛ إِذْ تَذَكَّرْتُ أَنَّ الصَبْرَ الحَقِيْقِيَّ إِنَّمَا يَكُوْنُ عِنْدَ الصَدْمَةِ الأُوْلَى، وَلَمْ أَنْسَ الثَوَابَ العَظِيْمَ لِلصَابِرِيْنَ مِنْ رَبِّ العَالَمِيْنَ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ

وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 155-157]، وَخَشِيْتُ أَنْ تَجْتَمِعَ عَلَيَّ مُصِيْبَتَانِ: فَقْدُ أُمِّي رَحِمَهَا اللهُ، وَفَقْدُ الأَجْرِ؛ فَالـمُصِيْبَةُ وَاحِدَةٌ، فإِنْ كَانَ فِيْهَا جَزَعٌ فَهِيَ ثِنْتَانِ: (إِنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ القَدَرُ وَأَنْتَ مَأْجُوْرٌ، وَإِنْ جَزِعْتَ جَرَى عَلَيْكَ القَدَرُ وَأَنْتَ مَأْزُوْرٌ). فَصَبَرْتُ، وَرَضِيْتُ بِقَدَرِ اللهِ الـمَحْتُوْمِ؛ (وَأَعْرَفُ النَاسِ بِاللهِ أَرْضَاهُمْ بِأَقْدَارِهِ).

وَتَجَلَّدْتُ وَلا شَامِتِيْنَ عِنْدِيْ، وَمَا قُلْتُ سَاعَتَهَا إلا مَا يُرْضِيْ رَبِّيْ -عَزَّ وَجَلَّ-: **(إِنّا للهِ وَإِنّا إِلَيْهِ رَاجِعُوْنَ، وَالحَمْدُ للهِ عَلَى قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهَا رَحْمَةً وَاسِعَةً، واجْعَلْ هَذَا اليَوْمَ خَيْرَ أيَّامِهَا، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهَا، وَلا تَفْتِنَّا بَعْدَهَا)**.

وَلَمْ يَكُنْ بِيَدِيَ حِيْنَذَاكَ إلا أَنْ أَصْبِرَ وَأَتَجَلَّدَ؛ فَإِنَّمَا ابْتَلانَا بِالمُصِيْبَةِ المُنْعِمُ، وَأَخَذَ مِنَّا المُعْطِيْ.

وَبَعْدَ أَنِ اسْتُنْفِدَتْ مِنْ قِبَلِنَا كُلُّ الحِيَلِ وَالأَسْبَابِ هَا هِيَ ذِيْ شَمْسُنَا السَاطِعَةُ قَدْ تَوَارَتْ بِالحِجَابِ:

إنَّ الطَبِـــــيْبَ بِـطِبِّــــــهِ وَدَوَائِـــــــهِ

لا يَـــــسْتَطِيْعُ دِفَــــاعَ مَحْـــــذُوْرٍ أَتـــــَى

مَــــا لِلْطَبِــــيْبِ يَمُــــوْتُ بِـالــــدَاءِ الـــذِيْ

قَـــدْ كَـــانَ يُـــبْرِيْ مِثْلَـــهُ فِيْمَــــا مَــضَى

ذَهَـــبَ الــــمُدَاوِيْ وَالــــمُدَاوَى وَالـــذِيْ

جَلَـــبَ الـــدَوَاءَ وَبَاعَـــهُ وَمَـــنِ اشْـــتَرَى[41]

وَأَكْبَبْتُ عَلَى أُمِّيَ الحَبِـيْبَةِ أُمْطِرُ رَأْسَهَا وَجَبِـيْنَهَا وَيَدَيْهَا قُبَلاً حَرَّى كَمَا لَمْ أَفْعَلْ مِنْ قَبْلُ؛ لأَنـَّهَا قُبَلُ مُوَدِّعٍ وَدَاعاً أَبَـدِيّاً؛فَلَقَدْ مَاتَتْ أُمِّيْ رَحِمَهَا اللهُ، وَالذِيْ بَقِيَ أَمَامِيْ إِنَّمَا هُوَ جَسَدٌ بِـلا رُوْحٍ، فَرُوْحُهَا قَدْ صَعَدَتْ لِبَارِئِهَا، وَمَاتَتْ مَعَهَا آمَالُ الأَمْسِ العَرِيْضَةُ وَأَمَانِـيْهِ:

وَدَّعْتُهَــــا أَمْــــسِ يَحْــــدُوْنِيْ بَــــصِيْصُ رَجَـــاً

بِــــأَنْ يَكُـــوْنَ غَــــدٌ خَيْـــراً لِمُنْتَظِـــرِ

وَعُـــــدْتُ فِي لَـــــهْفَةٍ أَرْجُـــو انْتِـــبَاهَتَهَا

وَإِذْ بِـهَـــا لا تُنَادِيْـــنِيْ: (هَـــلا عُمُـــرِيْ)

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

وَلا تَمُــــــدُّ يَـــــداً نَحْـــــوِيْ تُعُـــــانِقُنِيْ

وَلا تُـــسَائِلُ عَـــمَّا جَـــدَّ مِــــنْ خَـــبَرِيْ

وَجَـــدْتُهَا جَـــسَداً تَكْـــسُوْهُ صُفْرَتُـــــهُ

نُـــوْراً رَهِيْفـــاً سَرَى مِـــنْ جِـــسْمِهَا النَظِـــرِ

فَـــمَا مَلَكْـــتُ انْكِـــبَاباً فَـــوْقَ جَبْهَتِهَـــا

وَخَـــدِّهَا وَالـــجَوَى فِي القَلْـــبِ كَالـــشَرَرِ[42]

أَجَـلْ، لَقَـدْ مَاتَـتْ أُمِّـي رَحِمَهَـا اللهُ، وَإنْ لَـمْ يَقْتَنِـعْ بِـذَلِكَ (رَيَّانُ)[43] حَفِيْـدُهَا ذُوْ الأَعْـوَامِ الأَرْبَعَـةِ الـذِيْ مَـا زَال مُـصِرّاً عَـلَى أنـَّهَا لَـمْ تَمُتْ، وَأَنـَّهَا سَتَعُوْدُ؛ لأَنـَّهَا بِـزَعْمِهِ قَدْ قالتْ لَـهُ، وَلَمْ تَكُـنْ مِنْ قَبْلُ تَكْذِبُهُ: إنَّنِـي سَأَذهَبُ إلى الرِيَاضِ، وَسَأَعُوْدُ بعـدَ أيـَّامٍ إنْ شاءَ اللهُ.

إِيْ وَرَبِّيْ لَقَدْ مَاتَتْ أُمِّيْ يَا (رَيَّانُ)، يَا مَنْ تَعَوَّدَ مُنْذُ سَنَتَيْنِ أنْ لا يَنَامَ إلا فِي حِضْنِهَا، فَيُؤْنِسَ وَحْشَتَهَا حِيْنَ اخْتَارَتِ الـخَلْوَةَ، فَكَانَ أَكْثَرُ وَقْتِهَا لا مُحَدِّثَ وَلا جَلِيْسَ وَلا أَنِيْسَ لَـهَا سِوَاكَ يَـا (رَيَّانُ)،

يَا مَنِ اسْتَأْثَرَتْكَ دُوْنَ سِوَاكَ مِنْ أَحْفَادِهَا وَأَسْباطِهَا بِالكَثِيْرِ مِنْ حُبِّهَا.

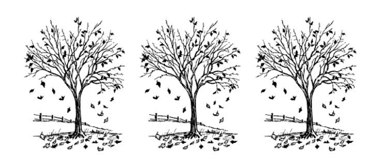
أَجَلْ، لَقَدْ ماتتْ أُمِّيْ يَا (رَيَّانُ)، وَلَنْ تَعُوْدَ إِلَيْكَ، وَلَنْ تَنْعَمَ بِحِضْنِهَا، حَتَّى لَوْ كَانَتْ قَالَتْ لَكَ، وَهِيَ الصَدُوْقُ التِيْ لا تَكْذِبُ أَبَداً: إِنَّهَا سَتَذْهَبُ إلى الرِيَاضِ، وَسَتَعُوْدُ بَعْدَ أَيَّامٍ؛ فَلَئِنْ كَانَتْ قَالَتْ لَكَ هَذَا، وَأَكَّدَتْهُ، لأَفْعَالُهَا يَا (رَيَّانُ)، يَا نَدِيْمَ أُمِّيْ، كَانَتْ - بِلُغَةِ الحَالِ، لا بِلُغَةِ المَقَالِ - تَقُوْلُ لِغَيْرِكَ غَيْرَ ذَلِكَ؛ أَلا تَعْلَمُ يَا (رَيَّانُ) يَا حَبِيْبَ أُمِّيْ، أَنَّهَا قَدْ أَعْطَتْ مَنِ اعْتَادَتْ أَنْ يُشَارِكَهَا في رِزْقِهَا مِنَ المُحْتَاجِيْنَ نَفَقَاتِ شَهْرَيْنِ مُقَدَّماً؛ لأَنَّهَا كَانَتْ تَشْعُرُ بِأَنَّهَا لنْ تَعُوْدَ عَاجِلاً مِنَ الرِيَاضِ؟؟؟.

فَأَحْسَنَ اللهُ عَزَاءَنَا وَعَزَاءَكَ يَا (رَيَّانُ) يَا أَنِيْس أُمِّيْ، وَجَبَرَ اللهُ مُصَابَنَا وَمُصَابَكَ؛ فلَقَدْ فَقَدْنَا وَفَقَدْتَ عَزِيْزاً.

أَحْسَنَ اللهُ عَزَاءَنَا وَعَزَاءَكَ يَا (رَيَّانُ)؛ فَهَذَا أَمْرُ اللهِ وَقَضَاؤُهُ الذِيْ كَتَبَهُ عَلَى خَلْقِهِ.

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

وَإِنَّا للهِ وإنّا إِلَيْهِ رَاجِعُوْنَ رُجُوْعَ مَنْ سَلَّمَ لأَمْرِهِ، وَاسْتَسْلَمَ لِحُكْمِهِ، وَرَضِيَ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَعَلِمَ أنَّ مَقَادِيْرَ الآجَالِ عِنْدَهُ مَعْلُوْمَةٌ، وَمَجَارِيَ الأَفْعَالِ مِنْهُ غَيْرُ مَدْفُوْعَةٍ.



وَشَاخَ الطِفْلُ فَجْأَةً

عُدْنَا إلى الـمُسْتَشْفَى بَعْدَ سَاعَتَيْنِ لِتَسَلُّمِ جُثْمَانِ أُمِّيْ رَحِمَهَا اللهُ؛ لِنَقْلِهِ إلى القَصِيْمِ؛ لِنُوَارِيَهُ الثَرَى هُنَاكَ، وَقَدْ عَجِبْنَا كَيْفَ لا تَرِقُّ قُلُوْبُ العَامِلِيْنَ في مَرَاكِزِ حِفْظِ الـمَوْتَى بالـمُسْتَشْفَيَاتِ؛ لَقَدْ رَأَيْنَا فِيْهِمْ مِنَ الفَظَاظَةِ وَالغِلْظَةِ مَا لا يُحْمَدُوْنَ عَلَيْهِ!!

عَجَباً لَـهُمْ أَلا يَعْتَبِـرُوْنَ؟ أَلا يَكْفِيْهِمْ الـمَوْتُ زَاجِراً وَوَاعِظاً؛ فَالـمَوْتُ ذُوْ عِبَرٍ لِمَنْ يَتَدَبَّرُ:

في عِبْرَةِ الـمَوْتِ آيَاتٌ لِمُعْتَبِرِ
وَفِيْ زَوَاجِرِهِ رَدْعٌ لِمُزْدَجِرِ[44]

أَمْ تَرَاهُمْ لا قُلُوْبَ لَهُمْ؟ أَمْ أَنَّ كَثْرَةَ الإمْسَاسِ تُقَلِّلُ، بَلْ رُبَّما تُمِيْتُ، الإِحْسَاسَ؟ وَهَذَا مَا أُرَجِّحُهُ فِيْهِمْ وَفِيْ أَكْثَرِ أَطِبَّاءِ العِنَايَةِ الـمُرَكَّزَةِ، وَاللهُ يَغْفِرُ لَنَا وَلَـهُمْ:

وَمَنْ لَمْ يَعِظْهُ الـمَوْتُ لَمْ يَتَّعِظْ إِذَنْ
كَفَى وَاعِظاً بِالـمَوْتِ غَادٍ وَرَائِحُ[45]

حَمَلْنَا أُمِّيْ -رَحِمَهَا اللهُ- مُسَجَّاةً فِي السَّيَّارَةِ، وَوَجَدْتُ فِيْ نَفْسِيْ رَغْبَةً وَشَجَاعَةً بِأَنْ أَكُوْنَ أَقْرَبَ إِخْوَتِيْ إِلَيْهَا بَعْدَ وَفَاتِهَا رَحِمَهَا اللهُ، وَقَدْ كُنْتُ أَبْعَدَهُمْ مِنْهَا مَكَاناً فِيْ حَيَاتِهَا؛ بِسَبَبِ بُعْدِ مَكَانِ عَمَلِيْ.

لَقَدِ اِخْتَرْتُ أَنْ أَقُوْدَ السَيَّارَةَ التيْ تَحْمِلُ بَقِيَّةَ أُمِّيْ رَحِمَهَا اللهُ.

وَكَانَ الحَالُ طَوَالَ الطَرِيْقِ بِسَاعَاتِهِ الأَرْبعِ مُغْرِياً بِالوُجُومِ وَالصَمْتِ مِنِّيْ وَمِنْ رَفِيْقِ سَفَرِيْ (أَبِيْ رَامِيْ) جَزَاهُ اللهُ خيراً، وُجُومٌ وَصَمْتٌ أَبْحَرَا بِسَفِيْنَةِ ذِكْرَيَاتِيْ عُقُوْداً خَمْسَةً مِنَ السِنِيْنَ المَاضِيَةِ، حِيْنَمَا كَانَ هُنَاكَ رَضِيْعٌ يَلْتَقِمُ ثَدْيَ أُمِّهِ الرَؤُوْمِ التيْ تَضُمُّهُ إلى حِضْنِهَا بِحُبٍّ وَحَنَانٍ، وَلَيْسَ فِي العَالَمِ وِسَادَةٌ أَنْعَمُ مِنْ حِضْنِ الأُمِّ، وَلا مَلاذٌ آمَنُ لِلطِفْلِ مِنْ حِضْنِ أُمِّهِ؛إِذْ لَنْ يُذْهِلَهَا عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ شُؤُوْنِ الدُنْيَا مَهْمَا عَظُمَ شَأْنُهُ إلا قِيَامُ السَاعَةِ لَوْ قَامَتْ: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحجّ: 2].

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

وَيَمُرُّ قِطَارُ الذِكْرَيَاتِ بِـهَا حَيْثُ يَـمْرَضُ وَلِيْدُهَا حَتَّى يُشْرِفَ عَلَى الهَلاكِ، وَهُوَ لا يَكَادُ يُفَارِقُ كَتِفَهَا تَأَلُّماً وَبُكَاءً، وَهِيَ لا يَغْمَضُ لَهَا جَفْنٌ، وَلا يَرْقَأُ لَهَا دَمْعٌ، وَلا يَهْنَأُ لَهَا عَيْشٌ، وَلا يَسْكُنُ حُزْنُهَا، وَلا يَنْقَطِعُ هَمُّهَا، وَلَكِنَّهَا مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ تَصْبِرُ عَلَى تَعَبِهِ، وَتَأْسَى عَلَى شَقَائِهِ؛ لأَنَّهَا أُمُّهُ؛ وَمَنْ مِثْلُ الأُمَّهَاتِ؟.

أَلا مَا أَصْدَقَ قَوْلَ إِحْدَاهُنَّ عَنِ الوَالِدَاتِ كُلِّهِنَّ:

(مَا أَمَضَّ حَرَارَةَ قُلُوْبِهِنَّ!

وَأَقْلَقَ مَضَاجِعَهُنَّ!

وَأَطْوَلَ لَيْلَهُنَّ!

وَأَقْصَرَ نَهَارَهُنَّ!

وَأَقَلَّ أُنْسَهُنَّ!

وَأَشَدَّ وَحْشَتَهُنَّ!

وَأَبْعَدَهُنَّ عَنِ السُرُوْرِ!

وَأَقْرَبَهُنَّ مِنَ الأَحْزَانِ!!!).

وَتَدُوْرُ الأَيَّامُ دَوْرَتَهَا كَظِلِّ غَمَامَةٍ صَيْفِيَّةٍ، فَيَكْبُرُ طِفْلُهَا، فَيَصِيْرُ غُلاماً، ثُمَّ يَتَرَعْرَعُ فَتًى، ثُمَّ يَشْتَدُّ شَابّاً، ثُمَّ يَبْلُغُ أَشُدَّهُ رَجُلاً، وَلَكِنَّ أُمَّهُ ثَابِتَةٌ لا تَتَزَحْزَحُ فِي مُعَامَلَتِهِ؛ فَلَمْ يَتَخَلَّفْ حَنَانُهَا عَلَيْهِ لَحْظَةً وَاحِدَةً، وَلَمْ يَتَغَيَّرْ قَيْدَ أُنْمُلَةٍ إلا أَنَّهُ اِزْدَادَ رِقَّةً، وَلَمْ يَنْقُصْ، بَلْ هُوَ فِي ازْدِيَادٍ، حَتَّى وَهُوَ الذِيْ مَا فَتِئَ يُرَدِّدُ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: 15]....

أَجَلْ، إِنَّهُ قَدْ بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَجَاوَزَ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً، وَأَمْسَى أَباً مَهِيْباً، وَمَعَ ذَلِكَ لا تَخَالُهُ فِي عَيْنِ أُمِّهِ إلا طِفْلاً:

مَا زِلْتُ طِفْلاً عِنْدَهَا حَتَّى وَإِنْ
أَلْقَيْتُ فِي بَحْرِ المَشِيْبِ شِبَاكِيْ[46]

إِذْ مَا زَالَتْ أُمُّهُ حَرِيْصَةً عَلَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْ هَذَا كَثِيْراً، وَأَنْ يَشْرَبَ مِنْ ذَاكَ كَأْساً مَرِيْئاً، وَأَنْ يَزِيْدَ مِنْ هَذَا قَلِيْلاً، وَأَنْ لا يُبْقِيَ مِنْ ذَاكَ فَتِيْلاً !!!

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

وَكَمْ تَنَاوَلَ طَعَاماً شَهِيّاً طَيَّبَتْهُ يَدُ أُمِّهِ التِيْ تَظَلُّ جَالِسَةً طَوَالَ وَقْتِهَا إلى جِوَارِهِ تَمْلأُ مِنْهُ عَيْنَيْهَا، وَتَنْتَقِيْ لَهُ أَطْيَبَ أَطَايِبِ طَعَامِهَا بِيَدَيْهَا.

وَكَمْ تَنَبَّهَ عَلَيْهَا مِنْ نَوْمِهِ وَأَنَامِلُهَا الشَفِيْقَةُ الحَانِيَةُ تَتَأَكَّدُ مِنْ أنَّ الغِطَاءَ عَلَيْهِ ضَافٍ!.

وَكَمِ انْسَلَّتْ إلى غُرْفَتِهِ تَتَهَادَى في جُنْحِ الظَلامِ عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِهَا تَتَحَسَّسُ طَرِيْقَهَا؛ لِتَتَأَكَّدَ مِنِ اعْتِدَالِ وِسَادَتِهِ، وَتَتَلَمَّسَ وُجُوْدَ كَأْسِ المَاءِ قُرْبَ فِرَاشِهِ!:

إنْ نَامَ لَمْ تَهْجَعْ وَطَافَتْ حَوْلَهُ

فَيَبِيْتُ مَكْلُوْءاً بِهَا مَرْصُوْدَا[47]

وَأَمَّا إنْ مَرِضَ فَلا تَسَلْ عَنْ حَالِهَا كَيْفَ سَيَصِيْرُ حِيْنَذَاكَ؛ فَإِنَّهُ سَيَمَسُّهَا أَضْعَافُ أَضْعَافِ مَا أَصَابَهُ مِنَ السِقَامِ، مَعَ شَيْءٍ غَيْرِ قَلِيْلٍ مِنَ الغَمِّ وَالهَمِّ:

إذا مَسَّني سُقْمٌ ثَوَتْ عِنْدَ مَرْقَدِيْ

لِزَاماً فَلَمْ تَبْرَحْهُ إلا مَعَ السُقْمِ

عَــلَى أنــــَّهَا وَالـــسُقْمُ يَـــبْرِيْ عظَـــامَهَا
تُحَـــاوِلُ أنْ تُخْـــفِيْهِ عَنِّـــيَ بـــالكَتْمِ
وَلَــوْ أنــَّهَا اسْـطَاعَتْ لَـدَى الــمَوْتِ خُفْيَــةً
لأَخْفَتْــهُ إشْــفَاقاً عَــلَيَّ مِـــنَ الغَـــمِّ[48]

وَهَا هِيَ ذِيْ مَا زَالَتْ تَحُوْطُهُ بالعِنَايَةِ والاهْتِمَامِ؛ فَهِيَ تَخَافُ عَلَيْهِ مِنَ الحَرِّ، وَتَخْشَى عَلَيْهِ مِنَ القُرِّ؛ فكَمْ سَأَلَتْهُ: أَلَيْسَ الجَوُّ حارّاً؟ أنُشَغِّلُ المُكَيِّفَ أَوِ المِرْوَحَةَ؟

وَكَمْ دَنَتْ مِنْهُ تَتَحَسَّسُ مَدَى سَمَاكَةِ ثِيَابِهِ في الشِتَاءِ؛ لِتَتَيَقَّنَ مِنْ قُدْرَتِهَا عَلَى أنْ تَحْمِيَهُ مِنَ البَرْدِ!!!

وَكَمْ قَضَى مِنَ الأَيَّامِ أيَّاماً مَاتِعَةً بِقُرْبِهَا، يَنْعَمُ فِيْهَا بأَعْذَبِ الحَنَانِ، حَيْثُ كَانَتْ أُمُّهُ تَخْتَرِعُ فِيْهَا مِنْ جَدْبِ المَعِيْشَةِ خِصْباً خَصِيْباً، وَمِنْ سَمُوْمِ الصَيْفِ نَسِيْماً عَلِيْلاً، وَمِنْ زَمْهَرِيْرِ الشِتَاءِ دِفْئاً حَرِيْزاً، وَكُلُّ ذَلِكَ يَنْسَابُ كَالرَقْرَاقِ بَيْنَ الحَصَى مِنْ نَفْسٍ رَضِيَّةٍ نَقِيَّةٍ بِطَرَائِقَ عَجِيْبَةٍ تَسْلُبُ العُقُوْلَ، لا تَعْرِفُهَا وَلا تُتْقِنُهَا إلا قُلُوْبُ الأُمَّهَاتِ وَحْدَهَا.

أُمِّـيْ إذا نَادَيْـتُ يَـا أُمِّـيْ تَـضَاءَلَتِ الـحُرُوْفُ مِـنْ جَلالِـكْ
أُمِّـيْ إذا حَمَلَتْـنِيَ الأَشْـوَاقُ طَـارَتْ بِـيْ وَحَلَّـتْ في جَنَابِـكْ
أُمِّيْ إذا انْهَمَرَ السَحَابُ عَـلَى الرَوَابِـيْ يَغَـارُ مِنْ سَـيْبِ نَوَالِـكْ
هَـذِي الجَـدَاوِلُ تَحْـتَ أفْـيَاءِ النَخِيْـلِ كَأَنَّـهَا رِقَّـةُ حَالِـكْ
هَـذَا الـرَبِيْـعُ جَـمَالُهُ وَنَسِيْمُهُ وَعَبِيْـرُهُ بَعْـضُ بَهَائِـكْ
هـذَا المَـسَاءُ نُجُـوْمُهُ وَسُـكُوْنُهُ وَسَـنَاؤُهُ صِنْـوُ خِلالِـكْ
أنْـتِ الحَنـانُ وَأيُّ تَحْنَـانٍ سِـوَاهُ فَـإِنَّهُ فَيْـضُ حَـنَانِكْ
أنْـتِ الـنَقَـاءُ إذا تَـكَدَّرَتِ القُـلُوْبُ فَـلا نَقَـاءَ سِـوَى نَقَائِـكْ
أنْـتِ الـضِيَاءُ إذا ادْلَهَـمَّ الكَـرْبُ أَشْرَقَ حَوْلَنَـا نُـوْرُ ابْتِهَالِـكْ[49]

وَغَيْرُ ذَلِكَ كَثِيْرٌ مِـمَّا لَـمْ تَزَلْ تَفْعَلُهُ مَعَهُ مُنْذُ كَانَ في بِـدَايَةِ العَقْدِ الأَوَّلِ مِنْ عُمُرِهِ؛ لأنَّ قَلْبَهَا قَلْبُ أُمٍّ؛ وَقُلُوْبُ الأُمَّهَاتِ لا تَشِيْخُ أَبَداً، وَلا تَعْجِـزُ، وَلا تَهْرَمُ، وَلا تَشِيْبُ، وَلا تَتَوَانَى، وَلا تَضْعُفُ.

وَلَقَدْ كَادَتْ نَفْسُهُ تُوهِمُهُ أَنَّهُ حَقّاً مَا زَالَ طِفْلاً؛ فَقَدِ اِسْتَمْرَأَتْ رُوْحُـهُ الـحَنَانَ، وَأَلِفَتْـهُ، وَاسْتَعْذَبَتِ نَفْـسُهُ الرِعَايَـةَ الـخَاصَّةَ وَالدَلالَ العَذْبَ وَالـحَفَاوَةَ الـمُمَيَّزَةَ:

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

طِفْــــلٌ تَخَطَّـــى الأَرْبَعِـــيْنْ
عَـــشْراً وَيَهْفُـــوْ لِلْحَنِـــيْنْ
لَمْ يَـــرْوَ مِـــنْ عَـــذْبِ المَعِـــيْنْ
لَـــمْ يَـــدْرِ عَـــنْ كَـــرِّ الـــسِنِيْنْ
يَـــشْتَاقُ لِلْحِـــضْنِ الأَمِـــيْنْ
يَـــأْوِيْ إِلى الـــرُكْنِ الرَكِـــيْنِ
فَـــالأُمُّ مَـــأْوَى لِلْبَنِـــيْنْ(50)

وَقَدْ صَدَقَ مَنْ قَالَ فِي حِكْمَتِهِ: (يَظَلُّ الرَجُلُ طِفْلاً حَتَّى تَمُوْتَ أُمُّـهُ، فإذا مَاتَتْ شَاخَ فَجْأَةً):

وَيَحْمِلُنِـــي الـــحَنِيْنُ إِلَيْـــكِ طِفْـــلاً
وَقَـــدْ سَـــلَبَ الزَمَـــانُ الـــصَبْرَ مِنِّـــيْ
وَأُلْقِـــيْ فَـــوْقَ صَـــدْرِكِ أُمْنِيَـــاتِيْ
وَقَـــدْ شَـــقِيَ الفُـــؤَادُ مَـــعَ التَمَنِّـــيْ
غَرَسْـــتُ الـــدَرْبَ أَزْهَـــاراً بِـــعُمْرِيْ
فَخَيَّـــبَتِ الـــسِنِيْنُ اليَـــوْمَ ظَـــنِّيْ

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

وَأَسْلَمْتُ الزَمَانَ زِمَامَ أَمْرِيْ

وَعِشْتُ العُمْرَ بِالشَكْوَى أُغَنِّيْ

وَكَانَ العُمْرُ فِي عَيْنَيْكِ أَمْناً

وَضَاعَ العُمْرُ يَوْمَ رَحَلْتِ عَنِّيْ[51]

فَهَأَنَذَا لا أَسْتَطِيْعُ أَنْ أَلْتَفِتَ وَرَائِيْ؛ لأُلْقِيَ نَظْرَةً عَابِرَةً عَلَى بَقِيَّةِ أُمِّيْ رَحِمَهَا اللهُ؛ لِئَلاَ يَرُوْعَهَا مَنْظَرِيْ بَعْدَ أَنْ شِبْتُ فَجْأَةً؛ فَمَنْ كَانَ يُضْفِيْ عَلَيَّ حَنَاناً وَدَلالاً هَا هُوَ ذا جَسَداً مُسَجَّى مَعِيَ فِي السَيَّارَةِ... جَسَداً سُحِبَتْ عَلَيْهِ أَذْيَالُ الفَنَاءِ، وَيَنْتَظِرُهُ البِلَى تَحْتَ الثَرَى بَعْدَ أَنْ فَارَقَتْهُ الرُوْحُ الطَيِّبَةُ:

يَا أَطْيَبَ الأَهْلِ رُوْحاً ضَمَّهُ بَدَنٌ

أَسْتَوْدِعُ اللهَ ذَاكَ الرُوْحَ وَالبَدَنا[52]

أُمَّاهُ..... آهٍ.....

ثُمَّ آهٍ..... ثُمَّ آهٍ..... ثُمَّ آهٍ.....

لَقَدْ أَتْعَبْتُكِ يَا أُمَّاهُ بِأَمْرَاضِيْ صَغِيْراً....

وَلَقَدْ أَشْقَيْتُكِ يَا أُمَّاهُ بِالفِرَاقِ كَبِيْراً....

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

كَـــمْ لَيْلَـــةٍ مِـــنْ لَيَالِـــي العُمْـــرِ دَاجِـــيَةٍ

تَنَـــامُ عَيْنِـــيْ وَيُـــضْنِيْ عَيْنَـــكِ الأَرَقُ

وَكَـــمْ سَـــكَبْتِ دُمُـــوْعَ الـــشَوْقِ سَـــاخِنَةً

مَـــدَى غِيَابِـــيْ وَأَدْمَـــى طَرْفَـــكِ القَلَـــقُ

يَـــا وَرْدَةً مَـــا تَـــسَنَّى عِطْرُهَـــا أَبَـــدَاً

يَفُـــوْحُ مِنْهَـــا عَـــلَى طُـــوْلِ الـــمَدَى عَبَـــقُ

يَـــا نَخْلَـــةً تَعْـــشَقُ الأَزْهَـــارُ طَلْعَتَهَـــا

بَهِـــيَّةً عِنْـــدَمَا يَبْـــدُوْ لَهَـــا الفَلَـــقُ

يَـــا بُلْـــبُلاً بَـــذَرَ الأَنْـــغَامَ فِي شَجَنِـــيْ

مِـــنْ صَـــوْتِهِ نَاصِـــعُ التَحْنَـــانِ يَنْبَـــثِقُ

يَـــا كَوْثَـــرَاً كَـــمْ رَوَى قَلْبِـــيْ بِـــرِقَّتِهِ

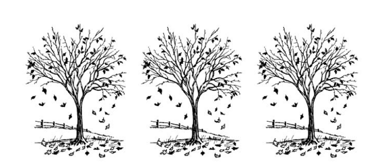
فَمِنْـــهُ يَـــصْطَبِحُ الـــصَادِيْ وَيَغْتَبِـــقُ

يَـــا نَخْلَـــةً شَـــمَخَتْ فِي هَـــامِ قَافِيَتِـــيْ

وَعِطْفُهَـــا لِمَعَانِـــيْ هَاجِـــسِيْ طَبَـــقُ (53)

اللهُمَّ يا خَيْرَ الرَاحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

رَحِمَكِ اللهُ يَا أُمِّيْ رَحْمَةً وَاسِعَةً، وَغَفَرَ لَكِ، وَأَسْكَنَكِ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى مِنَ الجَنَّةِ ؛ فَالقَلَمُ يَعْجِزُ عَنِ البَيَانِ، وَلَمْ يَبْقَ خَيْرٌ مِنَ الدُعَاءِ لَكِ بِالعَفْوِ وَالرِضْوَانِ مِنْ لَدُنِ الرَحِيْمِ الرَحْمَنِ ذي العَطَاءِ المَنَّانِ.



ألا مَنْ ذا لَهُ أُمٌّ كَأُمِّيْ؟

الأُمَّهَاتُ بِلا رَيْبٍ أَرَقُّ النَاسِ قُلُوْباً....

وَأَعْظَمُهُمْ رَحْمَةً....

وَأَصْدَقُهُمْ مَوَدَّةً....

وَلَكِنْ مَنْ لَهُ أُمٌّ كَأُمِّيْ؟

وَقَبْلَ أنْ يُقَالَ لِيْ كَمَا يُقَالُ لِابْنَتِيْ حِيْنَ تُعْجَبُ بِأَبِيْهَا: (**كُلُّ فَتَاةٍ بِأَبِيْهَا مُعْجَبَةٌ**)، أُؤَكِّدُ لَكُمْ أَنَّنِيْ لا أَعْرِفُ اليَوْمَ أُمّاً في الدُنْيَا كَأُمِّيْ رَحِمَهَا اللهُ؛ فَمَا أُمِّيْ كَمِثْلِ الأُمَّهَاتِ؛ وَلَنْ أَقُوْلَ مَا تَقُوْلُهُ الأَمْثَالُ: (مَا كُلُّ التُرَابِ عَسْجَدٌ، وَلا كُلُّ الحَصَى زَبَرْجَدٌ) ؛ لأنَّ في كُلٍّ خَيْراً.

وَلَكِنْ لا رَيْبَ عِنْدِيْ أَنَّ أُمِّيْ -رَحِمَهَا اللهُ- لَنْ يَسْتَطِيْعَ قَلَمِيْ مَهْمَا بَرَعَ حَامِلُهُ أنْ يُحِيْطَ بِمَا فِيْهَا مِنَ الشَمَائِلِ وَالمَآثِرِ وَالصِفَاتِ وَالمَزَايَا.

أَتَرَوْنَنِي سَأَقُوْلُ عَنْ أُمِّيْ -غَفَرَ اللهُ لَهَا-:

لَهَـا في نَـوَادِيْ كُـلِّ مَـكْـرُمَـةٍ ذِكْـرُ[54]

أَمْ أَهْتِفُ مُفَاخِراً بِـهَا -طَيَّبَ اللهُ ثَرَاهَا-:

هِـيَ النُبْـلُ وَالإِحْـسَانُ وَالزُهْـدُ وَالطُهْـرُ[55]

أَمْ أَصْدَحُ مُنْشِداً فِـيْهَا -رَفَعَ اللهُ مَنْزِلَتَهَا في الـجَنَّةِ -:

هِـيَ الـجُوْدُ في أَعْـلَى مَرَاتِـبِ بَذْلِـهِ

هِـيَ الـمَكْرُمَاتُ البِـيْضُ وَالـشِيَمُ الغُـرُّ[56]

أَمْ أَشْدُوْ مُتَرَنِّماً فِـيْهَا -فَرَّجَ اللهُ عَنْهَا كُرُبَاتِ الآخِـرَةِ -:

هِـيَ بَـرَّةٌ تَهْـوَى الجَمِـيْلَ تَقَرُّبـاً

وَيَـشُوْقُهَا في ذَلِـكَ الأَجْـرُ

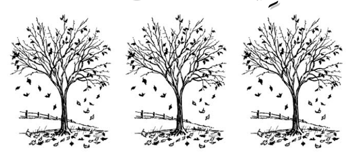
هِـيَ عَفَّـةٌ تَأْبَـى وَتَـسْمُوْ عِـزَّةً

عَـنْ كُـلِّ مَـا لا يَرْتَـضِي الطُهْـرُ[57]

إِنَّ أُمِّيْ - رَحِمَهَا اللهُ- فَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَلِـذَلِكَ فَلا مِـرَاءَ فِيْ أَنَّ الوَصْفَ مَهْمَا بَرَعَ الوَاصِفُ فِـيْهِ نَثْـراً أَوْ شِعْراً سَيَقْـصُرُ قَطْعـاً دُوْنَهَا؛ وَالبَلِيْغُ قَدْ يَعْيَا بِـبَلاغَتِهِ إذا كَانَ مَنْ يُثْنِيْ عَلَيْهِ أَخَا البَحْرِ:

أُثنِـــيْ عَلَيْـــكِ بِـــمَا اسْـــتَطَعْتُ وَرُبَّـــمَا

يُعْيِـــــي البَلِـــيْغَ جَلالَـــةُ الــــمَمْدُوْحِ[58]



مَاتَ الأَبُ، وَتَرَكَ بَنِيْنَ وَبَنَاتٍ صِغَاراً:

زُغْـــبَ الـــحَوَاصِلِ لا مَـــاءٌ وَلا شَـــجَرُ[59]

أَكْبَرُهُمْ لَمْ يَبْلُغِ الحُلُمَ، وَأَصْغَرُهُمْ لَمْ يَبْلُغِ الفِطَامَ.

تَرَكَهُمْ أَبُوْهُمْ فِي زَمَنِ فَقْرٍ مُدْقِعٍ، فَقْرٍ أَذَابَ الشَّحْمَ، وَأَكَلَ اللَّحْمَ، وَبَرَى العَظْمَ....

فَمَنْ كَانَ لِهَؤُلاءِ الأُصَيْبِيَةِ الصِغَارِ بَعْدَ اللهِ تَعَالَى حِيْنَمَا رَحَلَ كَاسِبُهُمْ وَمُرَبِّيْهِمْ (أَبُوْهُمْ) رَحِمَهُ اللهُ؟

لَقَدْ قَيَّضَ اللهُ لَهُمْ أُمّاً رَؤُوْماً كَانَتْ لَهُمْ نِعْمَ الأُمُّ الحَفِيَّةُ، وَنِعْمَ الأَبُ العَطُوْفُ....

لَـــكِ اللهُ يَـــا أُمَّـــاهُ كَـــمْ كُنْـــتِ مَـــوْئِلاً

يَطُـــوْفُ اليَتَـــامَى حَوْلَـــهُ كَـــالبَرَاعِمِ

وَكُنْـــتِ لَــهُمْ عِنْــدَ الـمَآسِـــيْ طَبِـــيْبَةً

تُــدَاوِيْ جــرَاحَاتِ الأَسَـــى كَالــمَرَاهِمِ[60]

لَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ الأُمُّ لَـهُمْ سَمَاءً ظَلِيْلَةً، وَأَرْضاً ذَلِيْلَةً...

وَلَقَدْ صَبَرَتْ عَلَى مِحَنِ الزَمَانِ وَعَلَى نَوَائِبِ الدَهْرِ أَمَلاً فِيْ أَنْ يُنْبِتَهُمُ اللهُ – جَلَّ جَلالُهُ – نَبَاتاً حَسَناً:

فَكَمْ شَقِيَتْ؛ لِيَرْتَاحُوْا.... وَكَمْ سَهِرَتْ؛ لِيَنَامُوْا....

وَكَمْ بَكَتْ؛ لِيَضْحَكُوْا....

وَكَمْ جَاعَتْ؛ لا لِيَشبَعُوا، بَلْ رَجَاءَ أَنْ يَتَخَفَّفُوا مِنْ لأْوَاءِ الجُوْعِ.

وَكَمْ تَشَاغَلَتْ عَنْ مُشَارَكَتِهِمْ فِي غَدَائِهِمْ وَعَشَائِهِمْ رَغْبَةً فِي شِبَعِهِمْ، فلا يَبْقَى لَـهَا شَيْءٌ، فَتَبِيْتُ طَاوِيَةً لَيَالِيَ مُتَتَابِعَةً، وَهُمْ فِي غَفْلَتِهِمْ بِـهَا لا يَشْعُرُوْنَ.

كَانَتْ إِنْ غَضِبُوا أَرْضَتْهُمْ....

وَإِذَا سَأَلُوْا أَعْطَتْهُمْ....

وَإِذَا سَكَتُوْا ابْتَدَرَتْهُمْ....

لَقَدْ جعَلَتْهُمْ قَلْبَهَا، وَمُخَّ عِظَامِهَا، وَطَرْفَهَا، وَعَيْنَيْهَا، فَحَفِظَتْ بِهِمْ أَمَانَةً في زَمَنٍ تَضِيْعُ فِيْهِ مِنَ الأَمِيْنِيْنَ الأَمَانَاتُ، وَكَفَلَتْ أَيْتَاماً في وَقْتٍ شَغَلَتْ كُلَّ إِنْسَانٍ نَفْسُهُ.

وَحِيْنَ حَقَّقَ اللهُ أَمَلَهَا فِيْهِمْ لَمْ يَزَلْ لِسَانُهَا لاهِجاً بِحَمْدِ الله وَشُكْرِهِ عَلَى تَوْفِيْقِهِ، ومُرَدِّداً دُوْنَ فُتُوْرٍ وَلا وَهَنٍ:

(الحَمْدُ لله؛ لَيْسَتْ نَدَامَةً؛ فَقَدْ أَقَرَّ اللهُ عَيْنَيَّ بِهِمْ):

عِصَامِيَّةٌ كَانَتْ عَلَى حِيْنِ أَنَّهَا
لَهَا نَسَبٌ فَوْقَ النَقِيْصَةِ وَالذَّمِّ
وَأُمِّيَّةٌ كَانَتْ وَلَكِنَّ رَأْيَهَا
لَدَى مُعْضِلاتِ الـمُرِّ فَوْقَ ذَوِيْ العِلْمِ[61]

أَتَدْرُوْنَ مَنْ هِيَ تِلْكَ الأُمُّ؟

إِنَّهَا أُمِّيْ.....

فَمَنْ مِنْكُمْ لَهُ أُمٌّ كَأُمِّيْ؟



 لَقَدْ تفكَّرْتُ وَتدَبَّرْتُ قَوْلَ الرَسُوْلِ ﷺ: (**لا تزُوْلُ قدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ:**

عَنْ عُمُرِهِ فِيْمَا أَفْنَاهُ؟.

وَعَنْ شَبَابِهِ فِيْمَا أَبْلاهُ؟.

وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أينَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيْمَا أَنْفَقَهُ؟.

وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذا عَمِلَ فِيْهِ؟).

وَتَأَمَّلْتُ حَالَ (**أُمِّ عبدِالله**) وَكَيْفَ سَتُجِيْبُ عِنْدَ السُؤَالِ؟

فَوَجَدْتُهَا قَدْ أَفْنَتْ عُمُرَهَا صِيَاماً في النَهَارِ؛ لحَرِّ يَوْمِ النُشُوْرِ، وَقِيَاماً في اللَيْلِ؛ لِوَحْشَةِ القُبُوْرِ.

كَانَتْ تَصُوْمُ في الهَوَاجِرِ حَتَّى نُشْفِقَ عَلَيْهَا، فَإذا رَجَوْنَاهَا أنْ تَرْحَمَ ضَعْفَهَا قَالَتْ:

(**وَمَا يُدْرِيْكُمْ؟ رُبَّمَا لا أَصُوْمُ غَيْرَهُ !!!**).

وَكَانَتْ لا تَنَامُ مِنَ اللَيْلِ إلا أَقَلَّهُ؛ ومَنْ طَلَبَ المَحَلَّ الأَثِيْرَ هَجَرَ المَضْجعَ الوَثِيْرَ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ (**أُمُّ عبدِالله**) تَقْضِي اللَيْلَ

صَلاةً وَتَسْبِـيْحاً وَدُعَاءً، وَسَمَاعاً لِلْقُرْآنِ الكَرِيْمِ مِنْ إِذَاعَتِـهِ، وَمُتَابَعَـةً لِبَرَامِجِـهَا النَافِعَةِ؛ لأَنَّ إذاعَةَ القرآنِ الكَرِيْمِ كَانَتْ نَافِذَتَهَا الوَحِيْدَةَ عَلَى العِلْـمِ وَالعَالَـمِ.

وَكَانَـتْ لا يَفُوْتـُهَا مَوْسُـمُ الـحَجِّ وَلا الـمَوَاسِمُ الفَاضِـلَةُ لِلعُمْرَةِ، وَهِيَ قَادِرَةٌ، فَلَقَدْ حَجَّتْ وَاعْتَمَرَتْ عَشَرَاتِ الـمَرَّاتِ حَجّاً وَعُمْرَاتٍ عَنْ نَفْسِهَا وَعَنْ وَالِدَيْهَا، بَلْ حَتَّى عَنْ أَجْدَادِهَا، تَقَبَّلَ اللهُ مِنْهَا:

لِيَبْكِـكِ كُـلُّ يَـوْمٍ صُـمْتِ فِـيْهِ

مُـصَابَرَةً وَقَـدْ حَمِـيَ الهَجِـيْرُ

لِيَبْكِـكِ كُـلُّ لَيْـلٍ قـُمْتِ فِـيْهِ

إلى أنْ يَبْـدُوَ الفَجْـرُ المُنِـيْرُ[62]

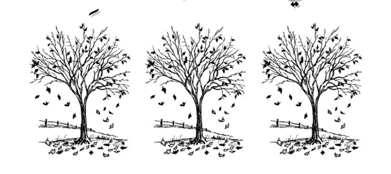
وَأَمَّا شَبَابُهَا فَلَمْ تَتَنَعَّمْ بِـهِ، بَلْ أَبْلَتْهُ كَدْحاً وَدَأَباً عَلَى كَفَالَـةِ الأَيْتَامِ فِي طُهْرٍ وَعَفَافٍ؛ فَلَقَدْ أَلْـهَمَهَا اللهُ حُبَّ الطَاعَـةِ، وَأَلْزَمَهَا كَنْزَ القَنَاعَةِ، فاشْتَرَتِ الآخِرَةَ بِالأُوْلَى:

أَنْـــــضَيْتِ عَيْـــشَكِ عِفَّـــــةً وَزَهَـــادَةً
وَطُرِحْـــــتِ مُثْقَلَــــةً مِـــــنَ الأَعْبَـــاءِ

بِـــصِيَامِ يَـــوْمِ القَـــيْظِ تَلْهَـــبُ شَمْـــسُهُ
وَقِــــيَامِ طُــــوْلِ اللَيْلَـــةِ اللَـــيْلاءِ

مَــا كَـــانَ يَوْمـــاً بالغَبْـــنِ مَـــنِ اشْـــتَرَى
رَغَــــدَ الجِـــنَانِ بِـعِيْـــشَةٍ خَـــشْنَاءِ

لَـــوْ كَـــانَ مِثْلَـــكِ كُـــلُّ أُمٍّ بَـــرَّةٍ
غَنِـــيَ البَنُـــوْنَ بِـــهَا عَـــنِ الآبَـــاءِ[63]



وَأمَّا الـمَـالُ فَمِنْ أَيْنَ لِـمِثْلِ (أُمِّ عبدِالله) مَالٌ؟

نَالَتْ مِنْهُ القَلِيْلَ مِنْ أَبْنَائِهَا وَبَنَاتِهَا، فَوَاللهِ مَا كَانَتْ تَدَّخِرُهُ حَذَراً مِـنْ رَوْعَـةِ الزَمَـانِ، وَلا كَانَـتْ تَجْمَعُـهُ؛ لِتُكَـاثِرَ بِـهِ العَـشِيْرَةَ وَلا الـجِـيْرَانَ؛ لأنَّ اللهَ زَهَّدَهَا بِـالفَانِـيْ، وَرَغَّبَهَا فِي البَاقِـيْ:

يَـــا آمِـــرِيْ بِـــاقْتِنَاءِ الــــمَالِ مُجْتَهِـــداً
كَيْـــمَا أَعِـــيْشَ بِمَالِـــيْ فِي غَـــدٍ رَغَـــدَا
هَبْنِـــيْ بِـــجُهْدِيَ قَـــدْ أَصْـــلَحْتُ أَمْـــرَ غَـــدٍ
فَمَـــنْ ضَمِيْنِـــيْ بِتَحْـــصِيْلِ الـــحَيَاةِ غَـــدَا[64]

وَلِذَلِكَ كَانَتْ (**أُمُّ عبدِالله**) مَا أَسْرَعَ أَنْ تَتَـقَاسَمَ مَا يَأْتِـيْهَا مِنْهُ مَعَ الأَرَامِلِ وَالأَيْـتَامِ وَالـمَسَاكِيْنِ وَالفُقَـرَاءِ،(وَكُـلُّ كَـرِيْمٍ مُوْلَـعٌ بِـالـمَكَارِمِ)، وَكَانَ لِسَانُ حَالِـهَا يَـقُـوْلُ:

يَجُـــوْدُ عَلَيْنَـــا الـــخَيِّرُوْنَ بِمَالِـــهِمْ
وَنَحْـــنُ بِـــمَالِ الـــخَيِّرِيْنَ نَجُـــوْدُ[65]

وَبِـذَلِكَ كَانَتْ -وَالله- مِنْ أَنْعَمِ النَاسِ عَيْشاً؛ لأَنَّـهَا تَحَلَّـتْ بِـالعَفَافِ، وَرَضِـيَتْ بِـالكَفَافِ، وَتَجَاوَزَتْ مَا يُخَافُ إِلى مَا لا يُخَافُ، فَقَنِعَـتْ بِـمَا أَعْطَاهَـا رَبُّهَـا، فَـقَرَّتْ بِـذَلِكَ عَيْنُهَـا، وَرَضِـيَتْ بِاليَسِـيْرِ،فَطَابَتْ مَعِيْشَتُهَا.

كَانَتْ والله سَرِيْعَةً بِـمَا تُعْطِـيْهِ، تُعْطِـيْ مَسْرُوْرَةً بِـمَا تَبْذُلُـهُ، لا تَلْتَمِسُ بِـذَلِكَ عَرَضَ الدُنْيَا؛ فَيَحْبَطَ عَمَلُهَا، وَلا تَطْلُبُ الـمُكَافَأَةَ العَاجِلَةَ بِـالـحُسْنَى؛ فَيَسْقُطَ فِي الأُخْرَى أَجْرُهَا.

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

كَانَ قَلِيْلُ الـمَالِ يَأْتِيْهَا عفْواً صفْواً، فَتُنْفِقُهُ مَخَافَةَ يَوْمٍ عَسِيْرٍ عَلَى الـمُحْتَاجَاتِ وَالـمُحْتَاجِيْنَ قُرْباً وَقَصْواً:

إِذَا اعْتَـزَّ بِالـمَالِ الرِجَـالُ فَإِنَّنَا

نَـرَى عِزَّنَا فِي أَنْ نَجُـوْدَ وَأَنْ نَسْخُوْ

فَعِـزُّ الـوَرَى بِالـمَالِ يُنْسَخُ عَاجِـلاً

وَعِـزُّ الفَتَى بِالـجُوْدِ لَـيْسَ لَـهُ نَسْخُ[66]

فَكَمْ مِنْ عَوْرَةٍ كَرِيْـمةٍ سَتَرَتْهَا.

وَكَمْ مِنْ خَلَّـةٍ مُحْتَاجَةٍ سَدَّتْهَا:

لِيَبْكِـكِ كُـلُّ مِسْكِيْنٍ فَقِيْرٍ

أَغَثْتِـيْهِ وَقَـدْ عَـزَّ النَصِيْرُ[67]

كَانَتْ إِذا أَعْطَتْ أَعْطَتْ مِنْ سَعَةٍ.

وَإِذا آسَتْ آسَتْ مِنْ كَفَـافٍ.

وَإِذا آثَـرَتْ آثَـرَتْ مِنْ قِلَّـةٍ.

وَإِذا كَانَ الـجَاهِلُ يَحْسَبُ الـمُتَعَفِّفِيْنَ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَعَفُّفِ، فَلَنْ يُلامَ مَنْ كَانَ يَرَى جُوْدَ (**أُمِّ عبدِالله**) فِي الإِنْفَاقِ إِذا لَـمْ يَشُكَّ لَحْظَةً

فِي الاعْتِقَادِ بِـأَنَّـهَا ذَاتُ يَسَارٍ وَغِنًى، وَمَـا يَـدْرِيْ هَـذَا الـمَخْدُوْعُ أنَّـهَا مُقِلَّةٌ مُوَاسِيَةٌ ؛ لا تُنْفِقُ مِنْ فَضْلِ مَالِهَا، بَـلْ جُوْدُهَـا الفِطْـرِيُّ وَكَوْنُهَا جَعَلَتْ هَمَّهَا الآخِرَةَ، لا الدُنْيَا، هُمَـا اللَّـذَانِ صَـيَّرَا غِنَاهَـا فِيْ قَلْبِـهَا، وَجَعَلاهَا تَتَقَاسَمُ مَعَ الـمُحْتَاجِ رِزْقَهَا الـمَقْسُوْمَ مِنْ رَبِّهَـا، وَصَدَقَ مَنْ قَالَ:

إِنَّ الـــجَوَادَ الـــذِيْ يَـــسْخُوْ مِـــنَ العَـــدَمِ(68)

وَصَدَقَ أَيْضاً الذِيْ قَالَ:

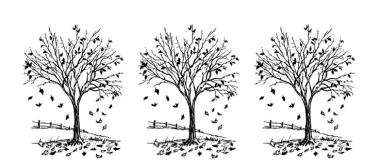
لَــيْسَ جُــوْدُ الــجَوَادِ مِــنْ فَــضْلِ مَــالٍ

إنـــــَّمَا الـــــجُوْدُ لِلْمُقِـــــلِّ الـــــمُوَاسِيْ(69)

فَهَلْ تَدْرُوْنَ مَنْ تَكُوْنُ (**أُمُّ عبدِالله**)؟

إِنَّـهَا أُمِّـيْ....

فَمَنْ ذا عِنْدَهُ أُمٌّ كَأُمِّيْ؟



اللهُمَّ يا خَيْرَ الرَاحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

﴾ كَانَتْ (**أُمُّ عبدِالله**) سَمْحَةً، سَهْلَةً، هَيِّنَةً، لَيِّنَةَ الـجَانِبِ، مُتَوَاضِعَةً لا يَجِدُ الكِبْرُ إلى قَلْبِهَا سَبِيْلاً، وَلا تَعْرِفُ الـخُيَلاءُ إلى حَالِهَا دَلِيْلاً؛ لأَنَّهَا لا تَنْسَى مُبْتَدَاهَا، وَلا تَغْفُلُ عَنْ مُنْتَهَاهَا، وَلا تَبِيْعُ دِيْنَهَا بِدُنْيَاهَا، فَكَانَتْ نَقِيَّةً صَافِيَةً؛ وَإِنَّهُ لَـ:

- **(بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ تَكَبَّرَ وَزَهَا، وَنَسِيَ الـمُبْتَدَأَ والـمُنْتَهَى.**
- **بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ تَخَيَّلَ وَاخْتَالَ، وَنَسِيَ الكبيرَ الـمُتَعَال.**
- **بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ بَاعَ الدِيْنَ بِالدُنْيَا.**
- **بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ خَلَطَ الدِيْنَ بِالشُبُهَاتِ.**
- **بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ يَرُدُّهُ الرُعْبُ عَنِ الـحَقِّ).**
- كَانَتْ (**أُمُّ عبدِالله**) طَيِّبَةَ النَفْسِ، ظَرِيفَةَ الـمَعْشَرِ، تَرْضَى بِالقَلِيْلِ، وَيَغْمُرُهَا الكَثِيْرُ.

لَـهَا خَلائِقُ بِيْضٌ لا يُغَيِّرُهَا

صَرْفُ الزَمَانِ كَمَا لا يَصْدَأُ الذَهَبُ[70]

- كَانَتْ (**أُمُّ عبدِالله**) تَأْكُلُ مَا وَجَدَتْ، وَتَحْمَدُ رَبَّهَا عَلَيْهِ وَتَشْكُرُهُ، وَلا تَسْأَلُ عَمَّا فَقَدَتْ، وَلا تُتْبِعُهُ نَفْسَهَا، وَلا تَنْتَظِرُهُ.

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

◉ كَانَتْ (**أُمُّ عبدِالله**) مِنَ الذينَ إذا أُعْطُوْا شَكَرُوْا، وَإذا ذُكِّرُوْا ذَكَرُوْا، وَإذا أَحْسَنُوْا ازْدَادُوْا، وَإذا أَسَاؤُوْا اسْتَغْفَرُوْا، وَإذا ابتُلُوْا صَبَرُوْا، لَمْ أرَ مِثْلَهَا اصْطِبَاراً؛ فَقَدْ كُنْتُ أَرَى دَلائِلَ الأمْرَاضِ عَلَيْهَا بَادِيَةً لا تَخْفَى عَلى الأَعْيُنِ الرُمْدِ، فَإذا سَألْتُهَا: (عَسَى مَا شَرٌّ يَا أمَّ عبدِ الله؟) قَالَتْ: أَبَداً، وَالحَمْدُ لله؛ فَنِعَمُهُ عَلَيْنَا أَكْثَرُ مِنْ أنْ تُحْصَى:

فَفِي العُسْرِ لَمْ يَجْهَرْ بِشَكْوَى لِسَانُهَا
وَفِي اليُسْرِ لَمْ يَلْعَبْ بِأَعْطَافِهَا الكِبْرُ
وَشَرُّ الصِفَاتِ أنْ يُصِيْبَكَ حَادِثٌ
فَتَجْأَرَ بِالشَكْوَى وَفِيْ وُسْعِكَ الصَبْرُ[71]

◉ كَانَتْ (**أُمُّ عبدِالله**) شَاكِرَةً لِمَنْ أَعْطَى، غَافِلَةً عَمَّنْ مَنَعَ أَوْ أَعْطَى قَلِيْلاً وَأَكْدَى.

◉ كَانَتْ (**أُمُّ عبدِالله**) عَفَّةَ اللِسَانِ، طَاهِرَةَ الجَنَانِ، طَوِيْلَةَ البَاعِ بِالإِحْسَانِ، أَوْجَدَتْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ القُلُوْبِ نَسَباً؛ لأَنَّهَا جَعلَتْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ رَبِّهَا سَبَباً، فَأَحَبَّهَا حُبّاً صَادِقاً كُلُّ مَنْ لَقِيَهَا، بَلْ كُلُّ مِنْ

سَمِعَ بِـهَا، وَلَمْ يَكُنْ لَـهَا مَنْ يَقْلِيْهَا؛ لأَنَّـهَا لا تَحْمِلُ إلا الـخَيْرَ فِي قَلْبِـهَا.

◉ كَانَتْ (**أُمُّ عبدِالله**) لا تَحْسُدُ الأَخْيَارَ، وَلا تَعِـيْبُ الأَشْرَارَ؛ قَنَاعَتُهَا طَهَّرَتْ قَلْبَهَا مِـنَ الـحَسَدِ، وَحِرْصُـهَا عَـلَى مُـدَارَاةِ النَـاسِ عَفَّ بِـلِسَانِهَا عَنِ الفَدَدِ، وَرِضَاهَا بِـقَضَاءِ الله مَنَعَهَا مِنْ أَنْ تَسْخَطَ عَلَى أَحَدٍ، وَجُوْدُهَا عَلَى البَعِيْدِ وَالقَرِيْبِ جَذَبَ إِلَيْهَا كُلَّ القُلُوْبِ، لا يُمْكِـنُ أَنْ تَـسْمَعَهَا يَوْمـاً تَـذْكُرُ أَحَـداً بِـسُوْءٍ، وَلا تَقُـوْلُ: هَـذَا أَعْطَى، وَذَاكَ مَنَعَ؛ لأَنَّـهَا كَانَتْ أَعْقَلَ مِنْ أَنْ تُسَلِّطَ عَلَى حَسَنَاتِهَا مَا يُذْهِبُهَا.

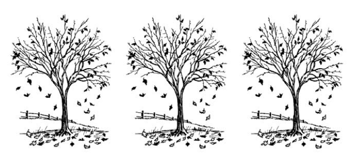
وَعَـلَى الـرَغْمِ مِـنْ أَنَّ الـمَرْءَ مَـعَ تَقَـدُّمِ عُمُـرِهِ يَتَغَـيَّرُ مِزَاجُـهُ، فَيَغْضَبُ لِمَا لا يُغْضِبُ، وَيَضِيْقُ ذَرْعاً بالطِفْلِ الصَغِيْرِ، وَيُلْقِيْ بَالاً لِلْيَسِيْرِ وَلِلْكَثِـيْرِ، لَكِـنَّ (**أُمَّ عبـدِالله**) كَانَـتْ بِـخِلافِ ذَلِـكَ كُلِّـهِ؛ كَانَـتْ تَتَـأَلَّفُ الـصَغِيْرَ وَالكَبِـيْرَ، وَتَفْـرَحُ مِـنَ الـزُوَّارِ بِـالـجَمِّ الغَفِـيْرِ، صَدْرُهَا أَوْسَعُ مِنْ دَارِهَا، تَرَى القَادِمَ إِلَيْهَا صَاحِبَ فَـضْلٍ عَلَيْهَا.

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

فَهَلْ تَعْرِفُوْنَ أَحداً خَرَجَ مِنَ الدُنْيَا وَقَدِ اتَّفَقَ عَلَى حُبِّهِ الأَبْنَاءُ وَالبَنَاتُ، وَالأَحْفَادُ وَالأَسْبَاطُ، وَزَوْجَاتُ الأَبْنَاءِ وَأَزْوَاجُ البَنَاتِ، وَسَائِرُ الأَقَارِبِ وَالجِيْرَانِ وَالمَعَارِفِ؟

إِنَّهَا أُمِّيْ....

فَهَلْ كُلٌّ لَهُ أُمٌّ كَأُمِّيْ؟



ﮩ يَتَفَاوَتُ النَاسُ فِي حِرْصِهِمْ عَلَى طَرْقِ أَبْوَابِ الخَيْرِ وَالتَفْتِيْشِ عَنْ سُبُلِهِ:

- فَمِنْ مُقِلٍّ وَمِنْ مُكْثِرٍ.
- وَمِنْ غَافِلٍ عَنْ جَوَامِعِ البِرِّ وَأُصُوْلِهِ، وَمِنْ مُتَيَقِّظٍ لِجَوَامِعِهِ وَدَقَائِقِهِ وَفُرُوْعِهِ.
- وَمِنْ مُمْسِكٍ بِمَفَاتِيْحِ الإِحْسَانِ، وَمِنْ مُضَيِّعٍ لَهَا.
- وَمِنْ مُبَادِرٍ لِاهْتِبَالِ فُرَصِ الأَعْمَالِ الصَالِحَةِ كُلِّهَا أَوْ جُلِّهَا، وَمِنْ مُسَوِّفٍ فِيْهَا.

◉ وَمِنْ مُشَمِّرٍ لِلْقِيَامِ بِـيَسِيْرِ مَا يَجْلِبُ الثَوَابَ وَعَسِيْرِهِ، وَمِنْ مُفَرِّطٍ وَغَيْرِ مُبَالٍ بِـيَسِيْرِهِ بَلْهَ عَسِيْرِهِ.

وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَبْوَابِ الـخَيْرِ وَجَوَامِعِ البِـرِّ وَمَفَاتِيْحِ الإِحْسَانِ وَيَسِيْرِ مَا يَجْلِبُ جَزِيْلَ الثَوَابِ، إِنَّ مِنْ أَعْظَمِهَا الشَفَاعَةَ الـحَسَنَةَ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِ النَاسِ وَدَفْعِ الكَرِيْهَةِ عَنْهُمْ؛ قَالَ اللهُ تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء:85].

وَقَالَ رَسُوْلُنَا ﷺ: **(أَفْضَلُ الصَدَقَةِ صَدَقَةُ اللِسَانِ، قَالُوْا: يَا رَسُوْلَ اللهِ وَمَا صَدَقَةُ اللِسَانِ؟ قَالَ: الشَفَاعَةُ؛ يُفَكُّ بِـهَا الأَسِيْرُ، وَيُحْقَنُ بِـهَا الدَمُ، وَيُجْرَى بِـهَا الـمَعْرُوْفُ وَالإِحْسَانُ إِلَى الأَخِ الـمُسْلِمِ)**، وَقَالَ ﷺ: **(اِشْفَعُوْا تُؤْجَرُوْا)**.

وَلا يَخْلُوْ زَمَانٌ وَلا مَكَانٌ مِنْ أَقْوَامٍ يَعْمُرُ الـمَوْلَى -جَلَّ جَلالُهُ- قُلُوْبَهُمْ بِـحُبِّ الشَفَاعَةِ وَالـحِرْصِ عَلَى بَذْلِـهَا وَالقِيَامِ بِـهَا، حَتَّى كَأَنَّهُمْ إِنَّمَا خُلِقُوْا لِلشَفَاعَةِ، قَالَ ﷺ: **(إِنَّ للهِ عِبَاداً خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَاسِ، يَفْزَعُ النَاسُ إِلَيْهِمْ، أُوْلَئِكَ الآمِنُوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ)**.

وَأُمِّيْ -رَحِمَهَا اللهُ- أَحْسَبُ أَنَّهَا كَانَتْ مِمَّنْ خَلَقَهُمُ اللهُ لِحَوَائِجِ النَاسِ؛ فَقَدْ كَانَ النَاسُ الذِيْنَ يَعْرِفُوْنَهَا مِنَ الأَقَارِبِ والأَبَاعِدِ يَفْزَعُوْنَ إِلَيْهَا؛ لِحَوَائِجِهِمْ، عَظِيْمِهَا وَجَلِيْلِهَا، وَهِيَ -رَحِمَهَا اللهُ- لا تَتَوَانَى فِي بَذْلِ جَاهِهَا، وَلا سِيَّمَا عِنْدَ مَنْ يَرَى أَنَّ مِنَ البِرِّ بِهَا أَنْ يَقُوْلَ لَهَا دَائِماً: (سَمْعاً وَطَاعَةً، وَأَبْشِرِيْ)، وَلَدَى مَنْ لَمْ يَأْلَفْ لِسَانُهُ أَنْ يَقُوْلَ لَهَا بِحَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ: (لا)، وَلِذَلِكَ كَانَتْ -رَحِمَهَا اللهُ- لا تَدَّخِرُ وُسْعاً فِي القِيَامِ بِالشَفَاعَةِ وَالحِرْصِ عَلَى نَجَاحِهَا، كَيْفَ لا وَقَدْ تَوَافَرَ لِشَفَاعَتِهَا شَرْطَا النَجَاحِ بِإِذْنِ اللهِ: (الوَجَاهَةُ وَالجُوْدُ):

وَأَقْرَبُ مَا يَكُوْنُ النُجْحُ يَوْماً
إِذَا شَفَعَ الوَجِيْهُ إِلى الجَوَادِ[72]

فَالشَافِعُ جَوَادٌ وَوَجِيْهٌ، وَالمَشْفُوْعُ لَدَيْهِ وَجِيْهٌ وَجَوَادٌ أَيْضاً.

وَلَقَدْ كُنْتُ كَثِيْراً مَا أَلْحَظُ أنَـّهُ تَتَنَازَعُ فِي أَعْمَاقِ أُمِّيْ - رَحِمَهَا اللهُ- سَجِــيَّتَانِ كَرِيْمَتَانِ: حُبُّ الشَفَاعَةِ، وَالـحَيَاءُ مِنْ كَثْرَةِ مَا تَطْلُبُهَا، فَكَمْ قَالَتْ لِيْ، وَمَاءُ الـحَيَاءِ يَتَرَقْرَقُ مِنْ أَسَارِيْرِ وَجْهِهَا أَشَـدَّ مِـنَ العَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، كَمْ قَالَتْ -رَحِمَهَا اللهُ-: (فُلانَةٌ طَلَبَتْ مِنِّيْ أنْ أُكَلِّمَكَ بِـشَأْنِ كَذَا، وَلَكِنْ -والله- إِنِّيْ مُسْتَحْيِـيَةٌ مِنْكَ)، فَحِيْنَذَاكَ يَتَحَقَّقَ مُرَادُهَا، وَعِرْضُهَا مَصُوْنٌ، وَأَجْرُهَا مَوْفُوْرٌ.

وَقَدْ صَـدَقَ ابْنِـيْ (أَنَسٌ) الـذِيْ لا زَالَ يَـنْعَمُ بِـثَمَرَةِ شَـفَاعَةٍ مِـنْ شَفَاعَاتِهَا الـحَمِيْدَةِ، صَدَقَ وَأَصَابَ حِيْنَـمَا قَالَ عَـنْ أُمِّيْ -رَحِمَهَا اللهُ- مُتَحَسِّراً عَلَى وَفَاتِهَا:

(لَقَدْ مَـاتَ الشَـفِـيْعُ الـذِيْ لا يُـرَدُّ):

بُنَـــيَّ رِفْقـــاً بِـحَالِـــيْ إِنَّنِـــيْ دَنِـــفٌ

قَلْبِـــيْ شَجِـــيٌّ كَئِـــيْبٌ كَاسِـــفُ البَـــالِ

العَـــيْنُ تَبْكِـــيْ فِرَاقـــاً لا رُجُـــوْعَ لَـــهُ

وَالقَلْــبُ مِــنْ بَعْــدِ أُمِّــيْ لَــيْسَ بِـالــسَالِيْ

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

وَأَنْــــتَ تَنْكَــأُ جُرْحِــيْ حِــيْنَ تَــذْكُرُهَا

وَفَـــقْدُ أَمْثَالِـــهَا بُـــؤْسٌ لأمْثَالِـــيْ[73]

تِلْكَ هِـيَ أُمِّيْ.....

فَهَلْ تَلْقَوْنَ في الدُنْيَا كَأُمِّيْ ؟؟؟



ماذا فَقَدْتُ بِفقْدِ أُمِّيْ؟

أَمْعَنْتُ في التَفَكُّرِ في الإِجَابَةِ عَلَى هذا السُؤَالِ:

مَاذا فَقَدْتُ بِفَقْدِ أُمِّيْ رَحِمَهَا اللهُ؟؟؟

أَتَدْرُوْنَ لِماذَا؟

لأَنَّنِيْ قَدْ رَأَيْتُ فَقْدَهَا مُخْتَلِفاً عَنْ فَقْدِ أَيِّ مَفْقُوْدٍ، بَلْ إِنَّنِيْ وَجَدْتُنِيْ فَقَدْتُ كُلَّ شَيْءٍ بِفَقْدِ أُمِّيْ رَحِمَهَا اللهُ:

۞ كَانَ فِي الدَارِ دَوْحَةٌ خَضْرَاءُ وَارِفَةُ الظِلالِ، تَتَهَافَتُ عَلَيْهَا كُلَّ حِيْنٍ وَدُوْنَ اسْتِئْذَانٍ الطُيُوْرُ المُقِيْمَةُ وَالمُهَاجِرَةُ، وَيَقْتَسِمُ مَعَهَا أَهْلُ الدَارِ طَعَامَهُمْ وَشَرَابَهُمْ وَالمَأوَى، فَيَأنَسُ كُلٌّ بِكُلٍّ، فَلا الدَارُ الحَاضِنَةُ تَسْتَغْنِيْ بِشَيْءٍ عَنْ غِنَاءِ طُيُوْرِهَا، وَلا الطُيُوْرُ الآوِيَةُ تَزْهَدُ بِدَوْحَتِهَا....

وَفَجْأَةً اجْتُثَّتِ الشَجَرَةُ مِنْ أَصْلِهَا؛ فَمَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ، فَلا بُدَّ لِلْطُيُوْرِ عِنْدَ ذَاكَ مِنْ أَنْ تُهَاجِرَ مُرْغَمَةً بِلا اخْتِيَارٍ، وَأَنَّى لَهَا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ تَجْتَمِعَ فِيْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ؟

وَهَكَذَا هِيَ أُمِّيْ رَحِمَهَا اللهُ؛ كَانَتْ دَوْحَتَنَا الغَنَّاءَ، وَخَيْمَتَنَا الوَارِفَةَ الظِلالِ؛ إذ كَانَ يَجْتَمِعُ حَوْلَهَا أَوْلادُهَا وَأَحْفَادُهَا وَأَسْبَاطُهَا كُلَّ حِيْنٍ وَدُوْنَ حَاجَةٍ إلى مِيْعَادٍ، وَبِلا شُعُوْرٍ بِأَدْنَى حَرَجٍ، وَلا تَسْأَلُوا عَنْ مِقْدَارِ سُرُوْرِهَا إذا الْتَمَّ شَمْلُهُمْ؛ فَذَلِكَ يَوْمُ عِيْدِهَا الذِيْ لا تَسْتَطِيْعُ فِيْهِ كِتْمَانَ سَعَادَتِهَا.

وَلَنْ يَعْسِرَ عَلَى أَحَدٍ اكْتِشَافُ غَمِّهَا إنْ غَابَ بَعْضُهُمْ؛ لأنَّ ذَلِكَ مَا لا يُطِيْقُ قَلْبُهَا الـمُرْهَفُ الـحَنُوْنُ إخْفَاءَهُ، وَلا لِسَانُهَا العَذْبُ تَجَاهُلَهُ، فَكَمْ سَتَسْمَعُهَا تَقُوْلُ: (إِيْهٍ، وَاللهِ مَا يَنْقُصُنَا إلا فُلانٌ أَوْ فُلانَةٌ).

وَأَمَّا أَوْلادُهَا فَهُمُ الضِيَاءُ لِنَاظِرَيْهَا، وَهُمُ الأَكُفُّ لِسَاعِدَيْهَا، بَلْ هُمْ كَبِدُهَا، وَثِمَارُ قَلْبِهَا، وَعِمَادُ ظَهْرِهَا، وَهُمْ عِنْدَهَا مُتَسَاوُوْنَ، لا تَعْرِفُ أَيُّهُمْ هُوَ أَقْرَبُ إلى قَلْبِهَا؛ إذ هُمْ لَدَيْهَا كَالـحَلَقَةِ الـمُفْرَغَةِ لا تَدْرِيْ أَيْنَ طَرَفَاهَا، أَحَبُّهُمْ إِلَيْهَا الغَائِبُ حَتَّى يَعُوْدَ، وَالـمَرِيْضُ حَتَّى يَبْرَأَ، وَالصَغِيْرُ حَتَّى يَكْبُرَ.

وَبِرَحِيْلِ أُمِّيْ -رَحِمَهَا اللهُ- أَلا يُخْشَى عَلَيْنَا أَنْ نَصِيْرَ كَطُيُوْرِ تِلْكَ الدَوْحَةِ تَفَرُّقاً وَشَتَاتاً؟

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

بَعْــــدَ أُمِّـــــيْ سَـــــيُنْكِرُ الـــــحُبُّ دَارَا

وَالعَــــــصَافِيْرُ تَهْجُــــــرُ الأَوْكَـــــارَا

وَدِيَـــــارٌ كَانَـــــتْ قَـــــدِيْماً دِيَـــــارَا

سَـــــتَرَانا كَـــــمَا نَرَاهَـــــا قِفَـــــارَا[74]

وَإِنِ الْتَقَيْنَا فَأَيْنَ تِلْكَ الرُوْحُ الصَافِيَةُ وَالنَفْسُ الطَيِّبَةُ التيْ كَانَتْ تُضْفِيْ عَلَى اللِقَاءِ سَعَادَةً وَحُبُوْراً؟

أرَاجِــــعَةٌ أَيَّــامُنـــــا مِثْــــلَ عَهــــدِهَا

وَلَـــسْتُ عَلَـــيْهَا لَـــوْ أَرَدْتُ قَـــدِيْرَا[75]

وَبِرَحِيْلِ أُمِّيْ -رَحِمَهَا اللهُ- أَلا نَخَافُ أنْ تُلْبِسَنَا الدُنْيَا لِحَافَهَا الخَشِنَ، وَتُكَشِّرَ فِيْ وُجُوْهِنَا عَنْ وَجْهِهَا الكَئِيْبِ، فَيُفْضِيَ جَمْعُهَا إلى شَتَاتٍ، وَصَفَاؤُهَا إلى كَدَرٍ:

فَـــــإذا الدُنـــــيَا كَـــــمَا نَعْرِفُهَــــــا

وَإذا الأَحْبَــــابُ كُـــــلٌّ فِيْ طَرِيْـــــقْ[76]

لَقَدْ فَقَدْنَا بِفَقْدِكِ يَا أُمَّاهُ مَا لا يُعَوَّضُ، فَتَبَدَّلَتْ مِنْ بَعْدِكِ حَالُنَا؛ فَلا بِنَاءَ بِلا أَسَاسٍ، وَلا ضِيَاءَ بِلا قَمَرٍ:

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

كُنَّـــا كَـــأَنْجُمِ لَيْــــلٍ بَيْنَهَـــا قَمَـــرٌ

يَجْلُـو الـدُجَى فَهَـوَى مِـنْ بَيْـنِهَا القَمَـرُ[77]

وَصَـدَقَ الـشَيْـخُ الـمُجَرِّبُ الـذِيْ صَـلُبَ فِي الدُنْـيَا عُـوْدُهُ، وَأَعْرَقَتْ فِي الـحَيَاةِ تَجْرِبَتُـهُ، صَدَقَ حِيْنَ قَالَ فِي تَعْزِيَـتِهِ لِـيْ: (إِنَّ فَقْـدَ الكَبِـيْرِ هُـوَ الفَقْـدُ الحَقِيْقِـيُّ؛ فَبِـفَقْدِهِ يَتَفَـرَّقُ الـشَمْلُ الـمُجْتَمِعُ، وَيَـخْـبُو النـُوْرُ السَاطِعُ):

فَمَـــنْ سَـــيَلُمُّ الـــشَمْلَ فِيْ كُـــلِّ رُوْحِـــهِ

وَمَـــنْ سَـــيُرَى فِيْ حُلْـــوِ بَـــسْمَتِهِ الفَجْـــرُ؟

وَمَـــنْ سَـــيُنَاغِيْ كُـــلَّ طِفْـــلٍ بِـــلَهْوِهِ

وَمَـــنْ سَـــيُوَاسِيْ مَـــنْ بِـــهِ نَـــزَلَ الـــضُرُّ؟

وَمَـــنْ سَـــيُنَادِيْ كُـــلَّ فَجْـــرٍ لِطَاعَـــةٍ

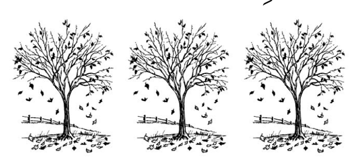
وَيَأْمُرُنَـــا بِـــالوَصْلِ يَـــا طِيْـــبَهُ الأَمْـــرُ!

وَمَـــنْ سَيُنَاجِـــيْ رَبَّـــهُ كُـــلَّ لَيْلَـــةٍ

وَيَـــدْعُوْ لَنَـــا كَـــيْ لا يَحِـــيْقَ بِـــنَا شَرُّ؟[78]

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

لَقَدْ فَقَدْنَا كُلَّ هَذَا وَأَكْثَرَ مِنْهُ بِفَقْدِكِ يَا أُمَّاهُ، فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُوْنَ. وَرَحِمَكِ اللهُ يَا أُمِّيْ يَا (أُمَّ عَبْدِالله)، وَجَمَعَنَا اللهُ بِكِ وَبِأَبِيْ وَوَالِدِيْكُمْ مَعَ النَبِيِّيْنَ وَالصِدِّيْقِيْنَ وَالشُهَدَاءِ وَالصَالِحِيْنَ فِي الفِرْدَوْسِ الأَعْلَى مِنَ الجَنَّةِ.



لَقَدْ فَقَدْتُ بِفَقْدِ أُمِّيْ -رَحِمَهَا اللهُ- الحُبَّ الصَادِقَ الذِيْ لا نِفَاقَ فِيْهِ وَلا رِيَاءَ، وَفَقَدْتُ النَقَاءَ الخَالِصَ الذِيْ لا يَشُوبُهُ غِشٌّ وَلا كَدَرٌ، وَهُوَ مَا يَنْدُرُ وُجُوْدُهُ غَالِبَاً فِي زَمَنٍ نَعِيْشُهُ الآنَ، زَمَنٍ لَبِسَ فِيْهِ أَكْثَرُ النَاسِ الثِيَابَ عَلَى قُلُوْبِ الذِئَابِ، وَشَرُّ الذِئَابِ عَلَيْهَا الثِيَابُ[79]، وَمَنْ يَأْمَنِ الذِئْبَ لا تَسْلَمْ عَوَاقِبُهُ:

وَالذِئْبُ أَخْبَثُ مَا يَكُوْنُ إِذا بَدَا

مُتَلَبِّساً بَيْنَ النِعَاجِ إِهَابَا[80]

أَجَـلْ، إنَّ ظَـاهِرَ تعَامُـلِ كَثِـيْرٍ مِـنَ النَـاسِ أَرَقُّ مِـنَ الـحَرِيْرِ وَالـدِيْبَاجِ، وَأَلْـسِنَتَهُمْ أَحْلَى مِـنَ العَسَلِ الـمُصَفَّى، لَكِـنَّ قُلُـوْبَهُمْ أَخْشَنُ فِي اليَدِ مِنْ شَوْكِ العِضَاهِ، وَأَمَرُّ فِي الـحَلْقِ مِنَ العَلْقَمِ:

إذا أَنْـــتَ فَتَّــشْتَ القُلُـــوْبَ وَجَـــدْتَهَا

قُلُـوْبَ الأَعَـــادِيْ فِيْ جُـــسُوْمِ الأَصَـــادِقِ[81]

إنّهُ لَـزَمَنٌ لا يَـأْمَنُ فِـيْهِ الـحَصِيْفُ غَـدْرَ الـصَدِيْقِ، وَلا تَقَلُّبَ الرَفِـيْقِ؛ لأنَّ القُلُوْبَ اليَوْمَ تُقَلِّبُهَا الـمَصَالِحُ وَالأَهْوَاءُ إلا مَا رَحِمَ رَبِّيْ، وَقَلِيْلٌ مَا هُمْ؛ فَهُمْ أَنْدَرُ مِنَ الكِبْرِيْتِ الأَحْمَرِ وَمِـنَ الزَبَرْجَدِ الأَخْضَرِ.

وَلَكِنَّ قَلْبَ الأُمِّ وَحُبَّهَا وَعَطْفَـهَا وَحَنَانَهَا فَقَـطْ هِيَ التِـيْ لا تَتَغَيَّرُ أَبَـداً:

فَـــإنَّ الـــحَنَانَ الـــحَقَّ فِي الأُمِّ وَحْـــدَهَا

وَغَـــيْرُ حَنَـــانِ الأُمِّ ضَرْبٌ مِـــنَ الـــوَهْمِ

هِـــيَ الأُمُّ سِـــرٌّ لَـــسْتَ تَعْـــرِفُ كُنْهَـــهُ

وَإنْ خِلْتَهَـــا فِـــيْ صُـــوْرَةِ الـــدَمِ واللَحْـــمِ[82]

نَعَمْ قَدْ يَصِيْرُ الإِخْوَةُ أَعْدَاءً، وَقَدْ يَهْجُرُ الأَزْوَاجُ زَوْجَاتِهِمْ، وَالزَوْجَاتُ أَزْوَاجَهُنَّ، وَلَكِنَّ حُبَّ الأُمِّ هُوَ البَاقِيْ؛ فَهُوَ يَعِيْشُ فِيْ إِقْبَالِ الحَظِّ وَإِدْبَارِهِ، وَفِيْ تَنَكُّرِ العَالَمِ وَتَجَهُّمِ وَجْهِ الدَهْرِ، وَإِنْ سَأَلْتُمُوْنِيْ عَنْ حَقِيْقَةِ ذَلِكَ فَقَدْ سَأَلْتُمْ عَنْ ذَلِكَ خَبِيْراً:

خَمْسُوْنَ عَاماً وَأَنْتِ الحُبُّ أَجْمَلُهُ
وَأَنْتِ لِيْ بَهْجَةُ الدُنْيَا وَمَا فِيْهَا
خَمْسُوْنَ عَاماً أَنَا طِفْلٌ تُدَلِّلُهُ
مَشَاعِرُ الوُدِّ فِيْ أَحْلَى مَعَانِيْهَا
خَمْسُوْنَ عَاماً أَنَا طِفْلٌ تُؤَانِسُهُ
خَمَائِلُ الحُبِّ أَلْهُوْ فِيْ مَغَانِيْهَا
خَمْسُوْنَ عَاماً أَنَا طِفْلٌ تُهَدْهِدُهُ
عُيُوْنُ طِفْلِكِ فِيْ أَبْهَى مَرَائِيْهَا
خَمْسُوْنَ عَاماً وَكُلُّ الدِفْءِ أَشْعُرُهُ
حَيْثُ الأُمُوْمَةُ لا شَيْءٌ يُوَازِيْهَا[83]

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

إِيْـهِ يَا أُمِّيْ لَقَدْ فَقَدْتُ بِـفَقْدِكِ كَثِيْراً؛ فَالـمَالُ يُعَوَّضُ بِـمَالٍ، وَلَكِنَّ الـحُـبَّ الـصَادِقَ وَالـصَفَاءَ الأَصْلِيَّ وَالنَقَاءَ الفِطْرِيَّ كُلَّهَا مَاتَتْ إلا مِنْ قُلُوْبِ الأُمَّهَاتِ، وَمِنْ أَيْنَ لِيْ أُمٌّ حَانِيَةٌ مُحِبَّةٌ مُشْفِقَةٌ، وَقَدِ اخْتَرَمَتْ يَدُ الـمَنُوْنِ رُوْحَ أُمِّيْ رَحِمَهَا اللهُ، وَغَابَ عَنِّيْ كِيَانُهَا؟:

وَأَيُّ حَيَـاةٍ بَعْـدَ أُمٍّ فَقَـدْتُهَا

كَـمَا يَفْقِـدُ الـمَرْءُ الـزُلالَ عَـلَى الظَـمَا[84]

لَقَدْ مَاتَتْ أُمِّيْ رَحِمَهَا اللهُ، وَاخْتَفَى مِنْ حَيَاتِيْ حُبُّهَا وَعَطْفُهَا وَحَنَانُهَا، فَأَمْحَلَتْ بَعْدَهَا أَرْضِيْ فِيْ كُلِّ بَقِيْعٍ، وَصَوَّحَتْ رِيَاضِيْ بَعْدَ رَبِـيْعٍ:

أَنْـتِ فَـيْءٌ ظَلِـيْلٌ قَـدْ زَالَ عَنَّـا

وَاخْتَفَـى بَيْـنَ سِتْـرِهَا وَالحِجَـابِ

أَنْـتِ رَوْضٌ زَاهِـي الأَرِيْـجِ وَزَاهٍ

طَـيِّبُ الأَصْـلِ طَـاهِرُ الأَنْـسَابِ

مَـــا بَقَائِــــيْ مِــــنْ بَعْـــدِ فَقـــْدِكِ إلا
مِثْـــلُ عَـــيْشِ الرِيَـــاضِ دُوْنَ سَـــحَابِ[85]

وَأَفَلَتِ تِلْكَ الشَمْسُ المُنِيْرَةُ فِي المَغِيْبِ وَفِيْ مَعِيَّتِهَا ذَهَبَ الأُنْسُ وَالهَنَاءُ وَحَلاوَةُ العَيْشِ وَالصَفَاءُ:

اليَـــوْمَ فَـــارَقَنِي الهَنَـــاءُ وَأَقْفَـــرَتْ
أَرْضِيْ وَصِرْتُ يَهُوْلُنِـــــي القَفْـــــرُ
قَـــدْ ضَـــاعَ أُنْـــسِيْ كُلُّـــهُ بِمَمَاتِـــهَا
فَـــالعَيْشُ بَعْـــدَ فِرَاقِهَـــا مُـــرُّ[86]

لَقَدْ أَمْسَتْ أُمِّيْ -رَحِمَهَا اللهُ- بَعِيْدَةَ الدَارِ، وَحَسْبُكَ بِهِ مِنْ بُعْدٍ سُكْنَى القُبُوْرِ، حَتَّى غَدَتْ جَوَانِحِيْ وَكُلُّ مَشَاعِرِيْ تُنَادِيْهَا بِاشْتِيَاقٍ وَحَنِيْنٍ، وَبُكَاءٍ وَأَنِيْنٍ، وَلَكِنْ - وآسَفَاهُ - لا تَلْقَى مُجِيْباً:

يَـــا بَعِيْـــدَ الـــدَارِ عَـــنْ عَيْنِـــيْ وَمِـــنْ قَلْبِـــيْ قَرِيْبَـــا
كَـــمْ أُنَـــادِيْكَ بِـــأَشْوَاقِيْ وَلا أَلْقَـــى مُجِـــيْبَا[87]

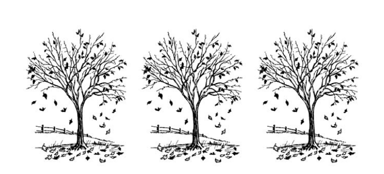
اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

وَلَكِنْ إذا كَانَ (**يَكْفِيْكَ مِنْ شَرٍّ سَمَاعُهُ**) فَإِنَّ فَقْدَ أُمِّيْ -رَحِمَهَا اللهُ- يَكْفِيْ أَنَّهُ أَفْقَدَنِيْ لَذَّةَ أَيِّ فَرَحٍ بَعْدَهَا، وَحَسْبُكَ بِهَذِهِ مِنْ مُصِيْبَةٍ:

آهاً لِفَقْدِكِ إِنَّهُ الفَقْدُ الَّذِيْ

نُسِخَتْ بِيَوْمِ عَزائِهِ الأَفْرَاحُ(88)

فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُوْنَ. وَرَحِمَكِ اللهُ يَا أُمِّيْ يَا (**أُمَّ عَبْدِالله**)، وَجَمَعَنَا اللهُ بِكِ وَبِأَبِيْ وَوَالِدِيْكُمْ مَعَ النَّبِيِّيْنَ وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ فِي الفِرْدَوْسِ الأَعْلَى مِنَ الجَنَّةِ.



۞ أَتَدْرُوْنَ مَنْ يَمْلِكُ حَاسَّةً سَادِسَةً يَصْدُقُ حَدْسُهَا وَلا يَخِيْبُ؟

إِنَّهُ قَلْبُ أُمِّيْ رَحِمَهَا اللهُ....

كَمْ أَدْرَكَتْ مِنْ سَمَاعِ صَوْتِيْ عَبْرَ الهَاتِفِ فَقَطْ أَنَّنِيْ أُعَانِيْ مِنْ مُشْكِلَةٍ، أَمَّا إذا رَأَتْنِيْ، وَقَرَأَتْ قَسَمَاتِ وَجْهِيْ، فَإِنَّهُ لا يُمْكِنُ أَنْ تُخْطِئَ فِرَاسَتُهَا كَبِدَ الحَقِيْقَةِ، وَلأَنَّهَا – رَحِمَهَا اللهُ– كَانَتْ تَحْزَنُ لِحُزْنِنَا، وَتَطِيْرُ فَرَحاً بِفَرَحِنَا، كُنْتُ أُحَاوِلُ إِخْفَاءَ مَا قَدْ يُكَدِّرُ عَلَيْهَا صَفْوَ حَيَاتِهَا، وَلَكِنَّهَا – رَحِمَهَا اللهُ– كَانَتْ بِفِرَاسَتِهَا وَإِحْسَاسِهَا الذِيْ لا يَخِيْبُ تَقْرَأُ مَا وَرَاءَ السُطُوْرِ، وَتَكْتَشِفُ بِحَدْسِهَا مَا خَلْفَ النَبْرَاتِ.

لَقَدْ كُنْتُ إذا أَهَمَّنِيْ أَمْرٌ أُحَاوِلُ أَنْ أُنَفِّسَ عَنِّيْ مَا أَهَمَّنِيْ بِسَمَاعِ صَوْتِ أُمِّيْ –رَحِمَهَا اللهُ– مُتَحَاشِياً أَنْ أُفْصِحَ لَهَا عَمَّا أَهَمَّنِيْ؛ لِيَزُوْلَ عَنِّيْ مَا أَحْزَنَنِيْ، وَلَكِنَّهَا بِحَاسَّتِهَا السَادِسَةِ – جَزَاهَا اللهُ خَيْراً– كَانَتْ تُدْرِكُ أَنَّ أَمْراً (مَا) يُقْلِقُنِيْ، وَلَوْ لَمْ أُطْلِعْهَا عَلَيْهِ، فَيُفَرِّجُ اللهُ عَنِّيْ غَمِّيْ؛ بِمُجَرَّدِ سَمَاعِ صَوْتِهَا وَحَدِيْثِهَا مَعِيْ، وَلَكِنَّ الغَمَّ يَنْتَقِلُ مِنْ قَلْبِيْ إلى قَلْبِهَا المُرْهَفِ الوَدُوْدِ؛ لأَنَّهَا أَدْرَكَتْ أَنَّنِيْ مَهْمُوْمٌ مِنْ شَيْءٍ وَإِنْ كَانَتْ لا تَعْرِفُهُ:

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

مَـــنْ لِيْ إذا مَـــا جـــِئْتُ أَبْغِـــيْ رَاحَـــةً

وَلَطَافَـــــةً إِنْ ضُـــــيِّقَ الـــــصَدْرُ؟

مَـــنْ ذا يُوَاسِـــيْنِيْ إذا مَـــا نَوَّخَـــتْ

فِي سَـــــاحَتِي الآلامُ وَالعُـــــسْرُ؟

قَـــدْ كُنْـــتِ يَـــا أُمَّـــاهُ عَـــوْنِيْ دَائِـــماً

وَبِـــكِ العَـــزَاءُ إذا اعْتَـــدَى الـــشَرُّ

قَـــدْ كُنْـــتِ يَـــا أُمَّـــاهُ مَـــصْدَرَ فَرْحَتِـــيْ

أَبَـــداً يُرَفْـــرِفُ حَوْلَـــكِ البِـــشْرُ

قَـــدْ كُنْـــتِ يَـــا أُمَّـــاهُ نَجْـــماً هَادِيـــاً

وَلأَنْـــتِ فِي ظَلْمَائِـــيَ البَـــدْرُ

قَـــدْ كُنْـــتِ يَـــا أُمَّـــاهُ ظِـــلاً وَارِفـــاً

آوِيْ إِلَيْـــهِ إذا قَـــسَا الـــحَرُّ

قَـــدْ كُنْـــتِ يَـــا أُمَّـــاهُ كِـــنّاً دَافِـــئاً

فِـــيْكِ الأَمَـــانُ إذا بَـــدَا القُـــرُّ

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

قَــــدْ كُنْــــتِ يَـــا أُمَّـــاهُ نَبْعـــاً صَافِـــياً

يَـــــشْفِي الغَلِـــــيْلَ وَإِنَّـــــكِ النَهْـــــرُ

آوِيْ إلى بُـــــــسْتَانِ عَطْفِـــــكِ رَائِقـــــاً

مِـــــنْ حَوْلِــــيَ الأَطْيَـــارُ وَالزَهْـــرُ[89]

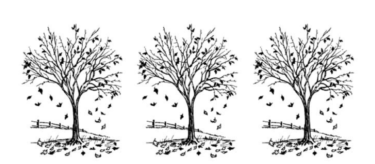
وَلَكِنْ بَعْدَ رَحِيْلِكِ يَا أُمَّاهُ كَيْفَ صَارَتْ حَالِيْ؟

اليَـــوْمَ أَصْــــبَحَ شَــــأْنِيْ كُلُّـــهُ حَزَنـــاً

إذ تَـــــسْتَوِيْ الآنَ أَفْرَاحِـــيْ وَأَحْـــزَانِيْ[90]

فَإِذا فَرِحْتُ حَزِنْتُ؛ لأَنَّهُ قَدْ مَاتَ مَنْ يَفْرَحُ لِفَرَحِيْ أَكْثَرَ مِنِّيْ.

وَإِذا حَزِنْتُ ازْدَدْتُ أَسًى وَحُزْناً؛ لأَنَّهُ قَدْ مَـاتَ مَنْ يُسَلِّيْنِيْ.



وَمِنْ عَجَائِبِ مَا حَصَلَ لِـيْ فِيْ أَثْـنَاءِ الـمُكْثِ الأَخِيْرِ لأُمِّيْ - رَحِمَهَا اللهُ- فِي الـمُسْتَشْفَى أَنَّنِـيْ بَعْدَ الـخُرُوْجِ مِـنْ زِيَارَتِهَا مَغْمُوْماً حَزِيْناً؛ لِـمَا حَلَّ بِـهَا، كَانَ يَحْدُثُ لِيْ كَثِيْراً أَنْ أَهُمَّ بِـإِخْرَاجِ

الهَاتِفِ؛ لأَتَّـصِلَ بـوَالِدَتِيْ فِي بَيْـتِهَا بـ(الرَسِّ)؛ عَلَّـهُ يَـزُوْلُ هَمِّـيْ وَغَمِّيْ، كَمَا كُنْتُ أَفْعَلُ مِنْ قَبْلُ حِـيْـنَـمَـا كَانَ يَحْـزُنُـنِـيْ أَمْرٌ، فَأُفِـيْقُ عَلَى الـحَقِـيْقَةِ الـمُرَّةِ، أَلا وَهِيَ أَنَّـنِيْ بـهَذَا أَكُوْنُ كَمَنْ يَسْعَى إلى أنْ يُدَاوِيَ نَفْسَهُ بـالتِيْ كَانَتْ هِيَ الدَاءَ؛ لأَنَّ أُمِّيْ لا يُمْكِنُ أنْ أَسْـمَعَ صَوْتَهَا؛ فَهِيَ التِيْ تَرَكْتُهَا قَبْلَ لَـحَظَاتٍ مُسَجَّاةً عَلَى السَرِيْرِ بـلا حِـرَاكٍ وَلا كَلامٍ، وَهِـيَ التِـيْ مَا كَانَ لَـهَـا أنْ تَتَـصَامَّ عَـنْ نِدَائِـيْ، وَقَدْ كُنْتُ أُنَادِيْهَا، وَأَقُوْلُ لَهَا: (أنـا صَالِـحٌ)، بَلْ أَذكُرُ الكُنْيَـةَ التِـيْ كَانَتْ تُحِبُّهَا، وَلا تُنَادِيْنِيْ إلا بـهَا، فَأَقُوْلُ لَهَا: (**أنــا أَبُـوْ أُسَـامَةَ**)، فَيَبْكِـيْ إشْفَاقاً عَـلَيَّ، وَرَحْمَـةً بـيْ، وَرَأْفَـةً بـحَالِـيْ، يَبْكِـيْ كُـلُّ مَـنْ حَوْلَـهَا مِنَ الـمَرْضَى وَزُوَّارِهِمْ، وَلا سِيَّما الأُمَّهَاتُ، أَمَّا أُمِّيْ فَهِـيَ وَحْدَهَا التِـيْ لا تُجِـيْبُ، وَلا أَدْرِيْ أَهِـيَ تَـسْمَعُنِـيْ أمْ لا؟؟؟، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا باللهِ العَلِيِّ العَظِـيْمِ :

وَكُنْـتُ إذَا مَـا ضَـاقَ صَـدْرِيْ بِـحَادِثٍ

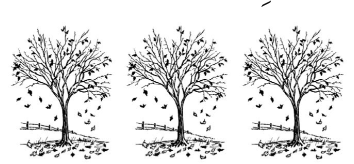
فَـزِعْتُ بِـنَجْوَاهُ إِلَى صَـدْرِهَا الرَحْـبِ

اللهُمَّ يا خَيْرَ الرَاحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

فَـــيَذْهَبُ عَنِّـــيْ هَـــمُّ نَفْـــسِيْ كَأَنَّـــهَا

شـــفَتْ غـــلَّةَ الظَمْـــآنِ بِـــالبَارِدِ العَـــذْبِ[91]

لَقَدْ فَقَدْتُ بِـفَقْدِكِ يَا أُمِّيْ مَا لا يُعَوِّضُهُ أَحَدٌ فِي الدُنْـيَا سِـوَاكِ، فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُوْنَ. وَرَحِمَكِ اللهُ يَا أُمِّيْ يَا (**أُمَّ عَبْدِالله**)، وَجَمَعَنَا اللهُ بِـكِ وَبِـأَبِـيْ وَوَالِدِيْكُمْ مَعَ النَبِـيِّيْنَ وَالصِدِّيْقِيْنَ وَالشُهَدَاءِ وَالصَالِحِيْنَ فِي الفِرْدَوْسِ الأَعْلَى مِنَ الجَنَّةِ.



ﮉ أَقْصَرُ الطُرُقِ إِلَى تَحْقِيْقِ الـمَنْشُوْدِ هُوَ دُعَاءُ الوَالِدَيْنِ؛ يَقُوْلُ رَسُـوْلُ اللهِ ﷺ: (**ثَـلاثُ دَعَـوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لا شَـكَّ فِيْـهِنَّ: دَعْـوَةُ الوَالِـدِ لِوَلَـدِهِ، وَدَعْـوَةُ الـمَظْلُوْمِ، وَدَعْـوَةُ الـمَرْءِ لأَخِيْهِ**)، وَإِنَّ دَعْوَةَ الأُمِّ لا يُمْكِنُ أَنْ تَضِلَّ الطَرِيْقَ.

وَأُمِّـيْ -رَحِمَهَـا اللهُ رَحْمَـةً وَاسِـعَةً- كَانَـتْ دَائِمَـةَ الرِضَـا عَـنْ أَوْلادِهَا، شَدِيْدَةَ الـحُبِّ لَـهُمْ، وَلِذَلِكَ لَـمْ تَكُنْ تَفْتُرُ عَنِ الدَعَوَاتِ

الصَالِحَاتِ لَهُمْ فِي قِيَامِهَا وَقُعُوْدِهَا، وَبِقَلْبِهَا السَلِيْمِ الذِيْ لا يَعْرِفُ غِلاً وَلا أَحْقَاداً، وَقَدْ كُنْتُ أَرَى فِيْ شُؤُوْنِيْ كُلِّهَا أَثَرَ دُعَائِهَا عِيَاناً لا مِرْيَةَ فِيْهِ وَلا ارْتِيَابَ فِيْ حِلِّيْ وفِيْ تَرْحَالِيْ:

مَا زَالَ صَوْتُكِ يَا أُمَّاهُ يَتْبَعُنِيْ

يَا رَبِّ رُدَّ حَبِيْباً أَدْمَنَ السَفَرا

يَا رَبِّ صُنْهُ مِنَ الأَشْرَارِ كُلِّهِمُ

وَرُدَّ عَنْهُ الأَذَى وَالكَيْدَ وَالخَطَرا

وَاجْبُرْ إِلَهِيَ كَسْراً حَلَّ فِيْ خَلَدِيْ

فَأَنْتَ تَجْبُرُ يَا مَوْلايَ مَا انْكَسَرا[92]

وَلِذَلِكَ كَمْ مِنْ أَبْوَابِ الخَيْرِ تَفَتَّحَتْ لِيْ مِنْ دُوْنِ احْتِسَابٍ، وَكَمْ مَكِيْدَةٍ مِنْ مَكَايْدِ الحَاسِدِيْنَ دُحِرَتْ؛ وَكُلُّ ذَلِكَ بِفَضْلِ اللهِ تَعَالَى ثُمَّ بِقَبُوْلِهِ دُعَاءَ أُمِّيْ رَحِمَهَا اللهُ.

وَإِنِّيْ لأَعْتَرِفُ اليَوْمَ وَكُلَّ يَوْمٍ بِأَنَّنِيْ مَدِيْنٌ بِكُلِّ مَا وَصَلْتُ إِلَيْهِ، وَمَا قَدْ أَصِلُ إِلَيْهِ فِي المُسْتَقْبَلِ بِإِذْنِ اللهِ، مَدِيْنٌ للهِ تَعَالَى ثُمَّ لأُمِّيْ رَحِمَهَا اللهُ.

وَلَكِنْ هَا هُوَ ذا البَابُ الرَحْبُ الـمُشْرَعُ لِكُلِّ خيْرٍ قَدْ أُوْصِدَ؛ بِوَفَاةِ أُمِّيْ رَحِمَهَا اللهُ....

فَمَا أَفْدَحَ الـمُصَابَ ! وَمَا أَعْظَمَ الخَسَارَةَ !!!:

إلى مَنْ أَشْتَكِيْ ولِمَنْ أُنَاجِيْ

إذا ضَاقتْ بِمَا فِيْهَا الصُدُوْرُ؟

بِأيِّ دُعَاءِ دَاعِيَةٍ أُوَقَّى؟

بِأيِّ ضِيَاءِ وَجْهٍ أَسْتَنِيْرُ؟

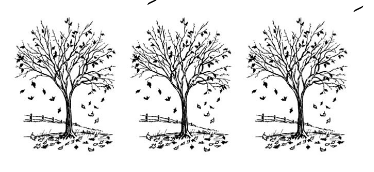
بِمَنْ يُسْتَدْفَعُ القَدَرُ الـمُوَقَّى؟

بِمَنْ يُسْتَفْتَحُ الأَمْرُ العَسِيْرُ؟

نُسَلَّى عَنْكِ أنَّا عَنْ قَلِيْلٍ

إلى مَا صِرْتِ في الأُخْرَى نَصِيْرُ(92)

فَإنَّا للهِ وَإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُوْنَ. وَرَحِمَكِ اللهُ يَا أُمِّيْ يَا (**أُمَّ عَبْدِالله**)، وَجَمَعَنَا اللهُ بِكِ وَبِأَبِيْ وَوَالِدِيْكُمْ مَعَ النَبِيِّيْنَ وَالصِدِّيْقِيْنَ وَالشُهَدَاءِ وَالصَالِحِيْنَ في الفِرْدَوْسِ الأَعْلَى مِنَ الجَنَّةِ.



اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

﴾ فِي الدُنْـيَا مَلَـذَّاتٌ أَعْظَـمُ مِـنَ الطَعَـــامِ والـشَرَابِ وَسَـائِرِ الـمَلَذَّاتِ الـمَعْهُوْدَةِ، وَمِـنْ أَلَذِّ الـمَلَذَّاتِ التِـيْ يَغْفُـلُ عَنْهَـا كَثِـيْرٌ مِنَ النَاسِ إدْخَـالُ الـسُرُوْرِ عَـلَى قُلُـوْبِ الآخَـرِيْنَ، يَقُـوْلُ الرَسُـوْلُ ﷺ: (**أَحَبُّ النَاسِ إِلى الله أَنْفَعُهُمْ لِلنَاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلى الله سُرُوْرٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِيْ عَنْهُ دَيْناً، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوْعاً**)، فَكَيْفَ إذا كَانَ القَلْبُ الذِيْ تَغْمُرُهُ بالـسُرُوْرِ هُوَ قَلْبَ أُمِّكَ، سَوَاءٌ أَكَانَ ذَلِكَ بِـبِـرِّهَا الوَاجِبِ الذِيْ لا مَـــزِيْدَ فَضْلٍ فِي القِيَامِ بِـهِ، أَمْ بِـمَا زَادَ عَلَيْهِ، إنَّ لِذَلِكَ لَذَّةً لَـوْ وُزِنَـتْ بِــهَا مَلَذَّاتُ الـحَيَاةِ الدُنْيَا كُلُّهَا لَرَجَحَتْ بِـهِنَّ.

وَلَقَدْ أَدْرَكْتُ أنَّ أُمِّي -رَحِمَهَا اللهُ- تُحِبُّ بَذْلَ الـخَيْرِ وَمُسَاعَدَةَ الـمُحْتَاجِـيْنَ وَالـمُحْتَاجَاتِ، وَلِكَثْـرَةِ مَـنْ تَعْـرِفُ مِـنْهُمْ كَـانَ مِـنَ البِــرِّ بِــهَا جَعْلُهَـا طَرِيْقـاً لإِيْتَـاءِ بَعْـضِ الزَكَـاةِ وَبَـذْلِ شَيْءٍ مِـنَ الـصَدَقَاتِ، فَـلا تَـسْأَلُوْا عَـنْ مِقْـدَارِ سُرُوْرِهَـا كَيْـفَ كَـانَ يَبْلُـغُ حِـيْنَذَاكَ؟

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

وَمَهْمَا حَلَّقَ بِـكُمْ شِرَاعُ الـخَيَالِ، أَوْ أَبْحَرَ بِـكُمْ سَفِيْـنُهُ، فَلا يُمْكِـنُ أَنْ تُحِيْطُوا بِـمَا يَكُـوْنُ لِذَلِكَ فِيْ نَفْسِهَا -رَحِمَهَا اللهُ- مِنْ سَعَادَةٍ وَفَرَحٍ وَحُبُوْرٍ.

وَأَحْسَبُ أَنَّ غَيْرَ قَلِيْلٍ مِنَ الأَوْلادِ لا يُدْرِكُ أَنَّ الآبَاءَ وَالأُمَّهَاتِ يَوَدُّوْنَ أَنْ يَصِيْرُوا أَيَادِيَ عُلْيَا تُعْطِيْ، مِثْلَمَا جُبِـلَتِ النُفُوْسُ عَلَى سَجِـيَّةِ قَبُوْلِ الهِـبَاتِ وَالعَطَايَا، وإِنِّيْ لأَرَى أَنَّ مِنَ البِرِّ بِـالوَالِدَيْنِ إِشْبَاعَ هَذِهِ الغَرِيْزَةِ لَدَيْهِمَا بِـمُسَاعَدَتِهِمَا عَلَى إِعَانَةِ الفُقَرَاءِ وَالـمُعْوِزِيْنَ.

وَأَعُوْدُ لأَقُوْلَ: لا شَكَّ فِيْ أَنَّهُ بَعْدَ وَفَاةِ أُمِّيْ -رَحِمَهَا اللهُ- لا يَخْفَى عَلَى مِثْلِيَ أَنَّ بِرَّ الوَالِدَيْنِ لا يَنْقَطِعُ بِـوَفَاتِهِمَا؛ لأَنَّ رَسُوْلَ الله ﷺ حِيْنَ سَأَلَهُ أَحَدُ الصَحَابَةِ -رِضْوَانُ الله تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِيْنَ- فَقَالَ: يَا رَسُوْلَ الله:

هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِـهِ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِمَا؟

قَالَ: **(نَعَمْ، الصَلاةُ عَلَيْهِمَا -أَيْ الدُعَاءُ لَـهُمَا- وَالاِسْتِغْفَارُ لَـهُمَا، وَإِنْفَاذُ عُهُوْدِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيْقِهِمَا، وَصِلَةُ الرَحِمِ الذِيْ لا رَحِمَ لَكَ إلا مِنْ قِبَلِهِمَا)**.

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

إذا سَـــجَدْتُ رَفَعْـــتُ القَلْـــبَ مُبْـــتَهِلاً

إنِّيْ عَـــلَى ثِقَـــةٍ بِـــالوَاحِدِ الأَحَـــدِ

أَدْعُـــوْ لِـــمَنْ عَلَّمَتْنِـــي الــصِدْقَ مُبْحِـــرَةً

بِـمُهْجَتِـــيْ فِيْ عُبَـــابِ الـــحَقِّ وَالرَشَـــدِ

أَدْعُـوْ لِـمَنْ عَلَّمَتْنِـي الـحُبَّ مَـا وَهَنَـتْ

حَتَّـــى سَرَى نَبْـــضُهُ فِيْ قَلْـــبِ مُعْتَقَـــدِيْ

أَدْعُـــوْ لِـــمَنْ عَطَّـرَتْ شِـــعْرِيْ بِـبَـسْمَتِهَا

وَمِـــنْ سَـــنَا رُوْحِهَـــا يَعْتَادُنِـــيْ مَـــدَدِيْ

أَدْعُـــوْ لِـــمَنْ كُلَّـــمَا دَوَّنْـــتُ قَافِـــيَةً

وَجَـــدْتُ قُبْلَـــتَهَا البَيْـــضَاءَ فَـــوْقَ يَـــدِيْ

وَكَـــانَ آخِـــرُ مَـــا قَالَتْـــهُ نَظْرَتُهَـــا

كُـــنْ رَاضِـــياً بِـقَـــضَاءِ الله يَـــا وَلَـــدِيْ[94]

لَكِنِ الآنَ بَعْدَ رَحِيْلِ أُمِّـيْ: كَيْفَ السَبِـيْلُ إلى التَلَذُّذِ بِإِدْخَالِ السُرُوْرِ إلى قَلْبِـهَا، وَمَا يَتْبَعُهُ مِنْ دُعَائِهَا الـمُسْتَجَابِ؟

لَقَدْ فَقَدْتُ كُلَّ هَذَا؛ بِـرَحِيلِكِ يَا أُمِّيَ الغَالِيَةَ الأَثِيْرَةَ:

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

يَـــا رُوْحَ أَحْلامِـــيْ وَنَبْـــعَ خَـــوَاطِرِيْ
وَمُنَـــايَ فِيْ فَرَحِـــيْ وَفِيْ أَشْجَانِـــيْ
لَـــهَفِيْ عَلَيْـــكِ قَرِيْبَـــةً وَبَعِيْـــدَةً
لَهَفِـــيْ عَلَيْـــكِ وَأَنْـــتِ فِي الأَكْفَـــانِ(٩٥)

فَإِنَّـا لله وَإِنَّـا إِلَيـهِ رَاجـعُوْنَ. وَرَحِمَـكِ اللهُ يَـا أُمِّيْ يَـا (أُمَّ عَبْـدِالله)، وَجَمَعَنَـا اللهُ بِـكِ وَبِـأَبِـيْ وَوَالِـدِيْكُمْ مَـعَ النَبِـيِّيْنَ وَالـصِدِّيْقِيْنَ وَالشُهَدَاءِ وَالصَالِحِيْنَ فِي الفِرْدَوْسِ الأَعْلَى مِنَ الجَنَّةِ.



مِمَّا لا رَيْبَ فِيْهِ أَنَّ الإِنْفَاقَ بِلا إِسْرَافٍ وَلا تَبْذِيْرٍ لا يَنْقُصُ مِنَ المَالِ شَيْئاً؛ لِقَوْلِ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[سبأ: 39]. وَلا شَكَّ فِيْ أَنَّ التَصَدُّقَ مِنَ المَالِ قَدْ أَقْسَمَ رَسُوْلُنَا ﷺ أَنَّهُ لا يَنْقُصُهُ، بَلْ يَزِيْدُهُ، وَأَمَّا الإِنْفَاقُ عَلَى الوَالِدَيْنِ -إِذا قُصِدَ بِهِ وَجْهُ الله وَالدَارُ الآخِرَةُ- فَهُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، بَلْ هُوَ أَوْسَعُ أَبْوَابِ الرِزْقِ، وَأَرْغَدُهُ، وَأَسْرَعُهُ، وَأَطْيَبُهُ.

◉ **أَلا مَنْ أَرَادَ بَرَكَةَ الرِزْقِ فَلْيُسْرِعْ، لَيْسَ إلى الإِنْفَاقِ عَلَى أَبَوَيْهِ فَحَسْبُ، بَلْ إلى الإِغْدَاقِ عَلَيْهِمَا بِنَفْسٍ رَضِيَّةٍ.**

◉ **أَلا مَنْ أَرَادَ رَغَدَ العَيْشِ فَلا يَبْخَلْ عَلَى وَالِدَيْهِ.**

◉ **أَلا مَنْ أرادَ سُرْعَةَ الإِيْسَارِ فَلْيُوْسِرْ عَلَى أُمِّهِ وَأَبِيْهِ.**

وَلَقَدْ رَأَيْتُ ثَمَرَةَ هَذَا بِأُمِّ عَيْنِيْ، فَوَجَدْتُ أَنَّ مَا يُنْفِقُهُ الوَلَدُ عَلَى أُمِّهِ أَوْ أَبِيْهِ يُخْلِفُهُ اللهُ عَلَيْهِ مُضَاعَفاً أَضْعَافاً كَثِيْرَةً، وَعَاجِلاً غَيْرَ آجِلٍ، مَعَ مَا يَدَّخِرُهُ لَهُ مَوْلاهُ -جَلَّ جَلالُهُ- مِنْ ثَوَابِ الآخِرَةِ، وَوَاللهِ، ثُمَّ وَاللهِ، وَتَاللهِ مَا قَلَّ مَا أَخْلَفَهُ اللهُ عَلَيَّ مِـمَّا أَنْفَقْتُهُ عَلَى أُمِّيْ -رَحِمَهَا اللهُ- فِيْ أَيِّ مَرَّةٍ مِنَ المَرَّاتِ، مَا قَلَّ عَنْ عَشَرَةِ أَضْعَافِهِ، حَتَّى أَيْقَنْتُ أَنّ أُمِّي -رَحِمَهَا اللهُ- قَدْ جَعَلَهَا رَبِّيْ أَوْسَعَ أَبْوَابِ رِزْقِهِ لِيْ.

◉ **فَهَنِيْئاً لِمَنْ تَكْتَحِلُ عَيْنَاهُ بِرُؤْيَةِ وَالِدَيْهِ صَبَاحَ مَسَاءَ.**

◉ **وَهَنِيْئاً لِمَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا.**

◉ **وَهَنِيْئاً لِمَنِ احْتَاجَ لَهُ أَبَوَاهُ أَوْ أَحَدُهُمَا.**

◉ **وَهَنِيْئاً لِمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ لِبِرِّهِمَا.**

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

وَإِنَّ اللهَ وَحْدَهُ لَيَعْلَمُ كَمْ تَمَنَّيْتُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى مَدَّ فِيْ عُمُرِ أَبِيْ رَحِمَهُ اللهُ؛ لأَتَمَكَّنَ مِنْ بِرِّهِ حَيّاً، وَلَكِنَّ اللهَ شَاءَ أَنْ أَفْقِدَهُ -يَرْحَمُهُ اللهُ- وَأَنَا ابْنُ الثَانِيَةَ عَشْرَةَ[96].

وَهَا هِيَ ذِيْ أُمِّي -رَحِمَهَا اللهُ- تَلْحَقُ بِهِ بَعْدَ حِيْنٍ؛ لأَبْقَى بَعْدَهُمَا فِي هَذِهِ الدُنْيَا أَجْنَبِيّاً غَرِيْباً:

أُسْرَةُ الـمَرْءِ وَالِدَاهُ وَفِيْمَا
بَيْنَ حِضْنَيْهِمَا الـحَيَاةُ تَطِيْبُ
فَإِذَا وَلَّيَا عَنِ الـمَرْءِ يَوْماً
فَهُوَ فِي النَاسِ أَجْنَبِيٌّ غَرِيْبُ[97]

لَكِنَّ مِنَ العَجَبِ العُجَابِ أَنَّنِيْ قَدْ وَجَدْتُ بَيْنَ فَقْدِيْ لأَبِيْ -رَحِمَهُ اللهُ- وَفَقْدِيْ لأُمِّيْ رَحِمَهَا اللهُ، وَجَدْتُ بَيْنَهُمَا فَرْقاً بَيِّناً فِيْ آثَارِهِمَا عَلَى نَفْسِيْ، وَهُوَ مَا يَصْدُقُ عَلَيْهِ قَوْلُ القَائِلِ:

فَقَدْتُ أَبِيْ طِفْلاً فَلَمْ أَدْرِ مَا الأَسَى
وَأُفْقِدْتُهَا كَهْلاً فَأَوْهَى الأَسَى عَظْمِيْ

سَلُوْنِـــيْ أُحَدِثْـــكُمْ عَـــنِ الـــيُتْمِ بَعْـــدَهَا
فَـــإِنَّ اليَتِـــيْمَ الكَهْـــلَ أَعْـــرَفُ بِـاليُــتْمِ[98]

فَمَا أَعْظَمَ مُصَابِيْ بِـفَقْدِكِ يَا أُمِّيْ!!!

سَـــلُوْنِيْ عَـــنِ الأَحْـــزَانِ بَعْـــدَ رَحِـــيْلِهَا
فَـــلا حُـــزْنَ فِي الـــدُنْيَا كَحُـــزْنِيْ عَـــلَى أُمِّـــيْ

مَـــضَتْ حَيْـــثُ لا رَجْـــوَى بِـــيَوْمِ رُجُوْعِهَـــا
وَحَـــسْبُكَ أَنْ تَحْيَـــا مَـــعَ اليَـــأْسِ وَالغَـــمِّ[99]

فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُوْنَ. وَرَحِمَكِ اللهُ يَا أُمِّيْ يَا (أُمَّ عَبْدِاللهِ)، وَجَمَعَنَا اللهُ بِكِ وَبِأَبِـيْ وَوَالِدِيْكُمْ مَعَ النَبِـيِّيْنَ وَالصِدِّيْقِيْنَ وَالشُهَدَاءِ وَالصَالِحِيْنَ فِي الفِرْدَوْسِ الأَعْلَى مِنَ الجَنَّةِ.



دَمْعَةٌ عَلَى قَبْرِ أُمِّيْ

بَعْدَ صَلاةِ الظُّهْرِ مِنْ يَوْمِ الخَمِيْسِ 24/ 5/ 1424هـ أَسْرَعَ المُشَيِّعُونَ بِجنَازَة أُمِّيْ -رَحِمَهَا اللهُ- إلى حَيْثُ اللَحْدُ الضَيِّقُ، وَمَا هِيَ إلا دَقَائِقُ مَعْدُوْدَةٌ اِجْتَهَدَ فِيْهَا البَاحِثُوْنَ عَنِ الثَوَابِ تَحْتَ شَمْسِ الظَهِيْرَةِ الحَارِقَةِ، وَلَهِيْبُهَا يَحْدُوْهُمْ إلى الاِسْتِعَاذَةِ بِالرَحْمَنِ مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ، مَا هِيَ إلا دَقَائِقُ مَعْدُوْدَةٌ حَتَّى صَدَرَ الأَمْرُ الصَارِمُ: (أَهِيْلُوْا عَلَيْهَا التُرَابَ بِاسْمِ اللهِ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ).

فَانْهَالَ التُرَابُ عَلَى أَحَبِّ الأَحْبَابِ، وَأَنَا وَاقِفٌ عَلَى قَبْرِهَا وَاجِماً، لا أَكَادُ أُصَدِّقُ مَا تَرَى عَيْنَايَ؛ فَفِي الأَمْسِ كُنَّا نَمْسَحُ عَنْ جَبِيْنِكِ يَا أُمِّيْ ذَرَّاتِ الغُبَارِ، وَهَا نَحْنُ أُوْلاءِ الآنَ نَجْتَهِدُ فِيْ رَمْسِكِ بِالتُرَابِ!.

وَحَثَوْتُ ثَلاثَ حَثَيَاتٍ اقْتِدَاءً بِسُنَّةِ المُصْطَفَى ﷺ، ثُمَّ وَقَفْتُ عَلَى رَأْسِ أُمِّيَ الذِيْ طَالَمَا طَبَعْتُ عَلَيْهِ سَيْلَ القُبُلاتِ، وَقَفْتُ غَيْرَ آبِهٍ بِحَرَارَةِ الشَمْسِ التِيْ تَحْرِقُ الجُلُوْدَ؛ لأَنَّ حَرَارَةَ جَوَانِحِيْ تُنْسِيْ مَا سِوَاهَا، وَ(عِلَّةُ الحَالِ تُنْسِيْ عِلَّةَ الجَسَدِ)[100].

وَانْثالَتْ أَشْجَانِيْ شَلالاتٍ مُتَدَفِّقَةً نَابِـعَةً مِنْ أَعْمَاقٍ دَفِيْنَةٍ:

◉ إيْهِ يا أُمِّيْ يَا حُشَاشَةَ نَفْسِيْ؛ إنَّ هَـذِهِ -واللهِ- هِـيَ السَاعَةُ التِيْ مَا تَـمَنَّيْتُ أنْ أُدْرِكَهَا....

◉ إيْهِ يَا أُمِّيْ يَا حَبِـيْبَةَ فُؤَادِيْ؛ إنَّ هَذَا -واللهِ- هُـوَ الـمَوْقِفُ الذِيْ لَـمْ أَحْسِبْ لَـهُ حِسَاباً....

◉ إيْهِ يَا أُمِّيْ يَا غِذَاءَ رُوْحِيْ؛ إنـَّهُمْ لا يَـدْفِنُوْنَ جَسَدَكِ، بَـلْ يَدْفِنُوْنَ سَعَادَتِيْ وَهَنَائِيْ....

◉ إيْهِ يَا أُمِّيْ يَا ضِيَاءَ عَيْنِيْ؛ أَحَقّاً أنَّ هَذَا هُوَ آخِرُ عَهْدِيْ بِـكِ فِيْ هَذِهِ الدُنْيَا....

وَسَـقَطَتْ مِنِّـيْ دَمْعَـةُ أَسًـى وَحَـزَنٍ، دَمْعَـةٌ تَـدَحْرَجَتْ كَـاللُؤْلُؤِ الرَطْبِ عَلَى الـخَدِّ الأَسِـيْلِ، (وَإِنَّ الرَّجُـلَ لاَ يَبْكِـيْ إِلاَّ مَـرَّةً، وَلَكِـنَّ دُمُوْعَهُ عِنْدَئِذٍ تَكُوْنُ مِنْ دَمٍ)، لَقَدْ كَانَـتْ عَـبْرَةً مِـنْ عَيْنِـيْ، وَالعَـبْرَةُ لا يَـمْلِكُهَا أَحَـدٌ، وَمَـعَ ذَلِـكَ اجْتَهَـدْتُ فِيْ أَنْ أُخْفِـيَهَا عَـنِ الـشَامِتِيْنَ وَالـحَاسِدِيْنَ، وَهَلْ فِي الـمَوْتِ يَا عِبَادَ اللهِ شَمَاتَةٌ أَوْ حَـسَدٌ؟ وَ:(حَتَّـى

عَلَى الـمَوْتِ لا أَخْلُوْ مِـنَ الـحَسَدِ)[101]، وَإِنَّهَا لَدَمْعَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَطْ، وَعَلَى مِثْلِ أُمِّيْ - رَحِمَهَا اللهُ- تَسِيْلُ الدُمُوْعُ غِزاراً.

لَـوْلا الـحَيَاءُ لَهَاجَنِـي إِسْـتَعْبَارُ

وَطَفَـا بِـعَيْنِـيْ دَمْعُهَـا الـمِدْرَارُ[102]

وَانْتَبَهْتُ بَعْدَ بُرْهَةٍ مِنَ الوَقْتِ فَإِذا القَوْمُ قَدْ أَنْهَوْا مَرَاسِمَ الدَفْنِ وَالتَعْزِيَةِ، وَأَنَا مَا زِلْتُ أَسْبَحُ فِيْ بَحْرِ شُجُوْنِيْ، فَاسْتَعَذتُ بِاللهِ مِنَ الشَيْطَانِ الرَجِيْمِ، وَأَفَقْتُ عَلَى الحَقِيْقَةِ التِيْ مَا مِنْهَا مَفَرٌّ، وَلا عَنْهَا مَنَاصٌ، وَهِيَ أَنَّ هَذَا القَبْرَ -وَاللهِ- هُوَ المَنْـزِلُ الحَقُّ، وَالوَعْدُ الصِدْقُ، وَالوَعِيْدُ الشَدِيْدُ، وَالمَسْكَنُ الذِيْ لَيْسَ لأَهْلِ الدُنْيَا عَنْهُ مَحِيْدٌ، وَإِنَّهُ لَنِعْمَ المَسْكَنُ لِمَنْ أَحْسَنَ، وَلَكِنْ مَنْ يَتَذَكَّرُ فِيْ زَمَنِ التَذَكُّرِ؟.

وَأَمَّا أنا فَقَدْ تَذَكَّرْتُ سَاعَتَهَا أَنَّ هَذَا -وَاللهِ- هُوَ المَوْتُ المُفَرِّقُ بَيْنَ الأَحْبَابِ، وَهُوَ المُقَرِّبُ مِنَ الحِسَابِ، وَالذِيْ بِهِ يَعْرِفُ الفَرِيْقَانِ مَنازِلَهُمْ:

أَهْلُ السَعَادَةِ فِيْ نَعِيْمٍ دَائِمٍ، وَأَهْلُ الشَقَاءِ فِيْ عَذَابٍ أَلِيْمٍ.

وَأَدْرَكْتُ أنَّ هَذَا المَصِيْرَ إنّما هُوَ أَمْرُ اللهِ الذِيْ لا مَدْفَعَ لَهُ، وَحُكْمُهُ الذِيْ لا حَيْفَ فِيْهِ، وَقَدَرُهُ الذِيْ سَوَّى فِيْهِ بَيْنَ عِبَادِهِ، فَلَيْسَ للسَاخِطِ فِيْهِ عُتْبَى، وَلا لِلرَاضِيْ مِنْهُ مَنْجَى، وَلَيْسَ لَنَا أَمَامَهُ إلا الإنْقِيَادُ فِيْهِ لِنَازِلِ القَضَاءِ.

ثُمَّ حَمِدْتُ رَبِّيَ الذِيْ لا يُحْمَدُ عَلَى مَكْرُوْهٍ سِوَاهُ، حَمِدْتُهُ مِرَاراً عَلَى قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ؛ فَنَحْنُ أَهْلُ بَيْتٍ -بِحَمْدِ اللهِ- نُطِيْعُهُ فِيْمَا يُحِبُّ، وَنَحْمَدُهُ فِيْمَا نَكْرَهُ. وَهَمْهَمْتُ فِيْ صَدْرِيْ مُتَمْتِماً: هَا أَنْتِ ذِيْ يَا أُمَّاهُ أَمْسَيْتِ بَعْدَ النَضَارَةِ وَالغَضَارَةِ وَرَوْنَقِ الحَيَاةِ أَمْسَيْتِ تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَرَى جَسَداً هَامِداً:

نَفْسِيْ وَنَفْسُكِ وَالنُفُوْسُ مُعَارَةٌ
يَدْعُوْ بِهَا إِمَّا يَشَاءُ مُعِيْرُهَا
فَلَئِنْ ذَهَبْتِ لَقَدْ ذَهَبْتِ وَمُقْلَتِيْ
صَبَّابَةٌ يَجْرِيْ عَلَيْكِ غَزِيْرُهَا
فَعَلَيْكِ مِنْ مِنَحِ الإِلَهِ صَلاتُهُ
وَسَقَى عِظَامَكِ فِي الضَرِيْحِ عَبُوْرُهَا[103]

أُمَّــاهُ لَنِعْمَ الرُوْحُ رُوْحٌ ضَمَّهَا بَدَنُكِ.

وَلَنِعْمَ البَـدَنُ بَـدَنٌ يَـضُـمُّـهُ كَفَـنُكِ.

وَلَنِعْمَ الكَفَنُ كَفَنٌ يَضُمُّـهُ لَحْـدُكِ.

وَمَا أَعْظَمَ مُصَابِـيْ بِكِ يَا أُمِّـيْ!!!

لَكِنْ يَا أُمَّاهُ إِنَّ رَبِّيْ أَمَرَنِيْ بِـالصَبْرِ، وَوَعَدَنِيْ عَلَيْهِ عَظِيْمَ الأَجْرِ، فَصَدَّقْتُ وَعْدَهُ، وَرَضِيْتُ قَضَاءَهُ، وَلَـنْ أَقُـوْلَ، وَلَـنْ أَعْمَـلَ إِلا مَـا يُرْضِـيْهِ إِنْ شَاءَ اللهُ، **(وَلَيْسَ لأَيَّامِ الرَزِيَّةِ كَالصَبْرِ)**[104] :

سَأَصْبِـرُ حَتَّـى يَعْجِـزَ الـصَبْرُ عَـنْ صَـبْرِيْ

وَأَصْبِـرُ حَتَّـى يَحْكُـمَ اللهُ فِيْ أَمْـرِيْ

وَأَصْبِـرُ حَتَّـى يَعْلَـمَ الـصَبْرُ أَنَّنِـيْ

صَـبَرْتُ عَـلَى شَـيْءٍ أَمَـرَّ مِـنَ الـصَبْرِ[105]

وَسَوْفَ أُوَطِّنُ نَفْسِيْ عَلَى مُجَالَدَةِ الحَزَنِ وَمُدافَعَتِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ.

وَلا خَـيْرَ فِـيْمَنْ لا يُـوَطِّنُ نَفْـسَهُ

عَـلَى نَائِبَـاتِ الـدَهْرِ حِـيْنَ تَنُـوْبُ[106]

وَحُزْنِيْ عَلَيْكِ يَا أُمَّاهُ سَيُهَوِّنُ كُلَّ حُزْنٍ بَعْدَهُ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَمُصِيْبَتِيْ بِكِ يَا أُمَّاهُ سَتُرَقِّقُ بَعْدَكِ كُلَّ مُصِيْبَةٍ بِعَوْنِ اللهِ.

فَبَعْدَكِ لا آسَى عَلَى فَقْدِ هَالِكٍ

مَضَيْتِ فَهَوَّنْتِ المَصَائِبَ أَجْمَعَا(107)

فَأَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ الرَحْمَنِ الرَحِيْمِ مُصَابِيَ الجَلَلَ بِكِ يَا أُمِّيَ الحَبِيْبَةَ الغَالِيَةَ.

- وَأَسْأَلُ الذِي اِسْتَوْدَعَنِيْ فِيْ أَحْشَائِكِ جَنِيْناً أَنْ يَرْحَمَكِ بَعْدَ أَنِ اسْتَوْدَعْنَاكِ الرَدْمَ، وَأَنْ يَجْعَلَكِ مِمَّنْ تُرَحِّبُ بِهِمُ الأَرْضُ، وَتَسْتَبْشِرُ بِهِمُ السَماءُ.
- وَأَسْأَلُ الذِيْ كَمْ جَعَلَ يَدَكِ وِسَاداً لِيْ أَنْ يَجْعَلَ أَرَائِكَ الجَنَّةِ وِسَادَكِ بَعْدَ أَنْ وَسَّدْنَاكِ الثَرَى.
- وَأَسْأَلُ الذِيْ سَقَانِيْ مِنْ ثَدْيَيْكِ رَضِيْعاً أَنْ يَسْقِيَكِ مِنْ حَوْضِ نبيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ شَرْبَةً لا تَظْمَئِيْنَ بَعْدَهَا أَبَداً.
- وَأَسْأَلُ الذِيْ أَمْتَعَنِيْ فِيْ حَيَاتِيْ مَعَكِ أَنْ يُمَتِّعَكِ مَتَاعاً سَرْمَدِيّاً بِالفِرْدَوْسِ الأَعْلَى مِنْ جَنَّتِهِ.

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

◉ وَأَسْأَلُ الذِيْ أَطْمَعُ بِرِضْوانِهِ أنْ يَتَغَمَّدَكِ بِعَفْوِهِ وَغُفْرَانِهِ، وَأنْ يَمْهَدَ لَكِ فِيْ أَعْلَى جِنَانِهِ، وَأنْ يَفْسَحَ لَكِ فِيْ مَثْوَاكِ، وَأنْ يَجْعَلَ آخِرَتَكِ خَيْراً مِنْ أُوْلاكِ، وَأنْ يُكْرِمَ مَرْجِعَكِ، وَأنْ يُبَرِّدَ مَضْجَعَكِ، وَأنْ يَرْحَمَكِ رَحْمَةَ الأَبْرَارِ، وَأنْ يَحُطَّ عَنْكِ ثِقْلَ الأَوْزَارِ، وَأنْ يَكُوْنَ قَدِ اخْتَارَ لَكِ النُقْلَةَ مِنْ دَارِ البَوَارِ إلى مَنْزِلَةِ الـمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ فِيْ دَارِ القَرَارِ.

أُمَّــاهُ: إِنِّيْ لا أَقُوْلُ الآنَ إلا مَا يَنْفَعُكِ حَقّاً، فَأَبْتَهِلُ إلى الله مَوْلايَ وَمَوْلاكِ، الحَيِّ القَيُّوْمِ، الذِيْ لا تَأْخُذُه سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ -جَلَّ جَلالُهُ وَعَزَّ سُلْطَانُهُ - الذِيْ قَالَ: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: 60]، وَأَدْعُوْهُ لَكِ بِصَدْرٍ نَقِيٍّ، وَقَلْبٍ تَقِيٍّ، أَدْعُوْهُ ضَارِعاً إِلَيْهِ وَمُوْقِناً بِاسْتِجَابَتِهِ، وَأَقُوْلُ:

◉ الْلَهُمَّ يَا خَيْرَ مَنْ نَزَلَ بِهِ الـمُؤَمِّلُوْنَ، وَاسْتَغْنَى بِفَضْلِهِ الـمُقِلُّونَ، وَوَلَجَ فِيْ سَعَةِ رَحْمَتِهِ الـمُذْنِبُوْنَ، يَا أَكْرَمَ الأَكْرَمِينَ: إنَّ لِكُلِّ ضَيْفٍ قِرًى، وَأُمِّيْ ضَيْفُكَ اليَوْمَ، وَهِيَ كَرِيْمَةٌ قَدِمَتْ عَلَيْكَ

وَأَنْتَ أَكْرَمُ الأَكْرَمِيْنَ، فَاجْعَلْ قِرَاهَا عَفْوَكَ وَرَحْمَتَكَ وَرِضْوَانَكَ وَجَنَّتَكَ يَا أَرْحَمَ الرَاحِمِيْنَ.

◉ الْلَهُمَّ أَعِنْهَا عَلَى الْقَبْرِ وَضَمَّتِهِ، وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَرَوْعَتِهِ، وَعَلَى الْحَشْرِ وَهَيْبَتِهِ، وَعَلَى الْمِيْزَانِ وَخِفَّتِهِ، وَعَلَى الصِرَاطِ وَزَلَّتِهِ، إِنَّكَ الْبَرُّ الرَحِيْمُ.

◉ الْلَهُمَّ إِنَّ ذُنُوْبَ أُمِّيْ لا تَضُرُّكَ، وَإِنَّ رَحْمَتَكَ إِيَّاهَا لا تَنْقُصُكَ، فَاغْفِرْ لَهَا الْلَهُمَّ يَا غَفُوْرُ مَا لا يَضُرُّكَ، وَأَعْطِهَا يَا جَوَادُ مَا لا يَنْقُصُكَ، إِنَّكَ أَنْتَ الْجَوَادُ الكَرِيْمُ.

◉ الْلَهُمَّ إِنِّيْ أَمْسَيْتُ أَرْجُوْكَ لَهَا، وَأَخَافُكَ عَلَيْهَا، الْلَهُمَّ فَصَدِّقْ رَجَائِيْ بِكَ لَهَا، وَأَمِّنْ خَوْفِيْ وَإِشْفَاقِيْ مِنْكَ عَلَيْهَا، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ.

◉ الْلَهُمَّ ارْحَمْ غُرْبَتَهَا، وَآنِسْ وَحْشَتَهَا، وَاسْتُرْ عَوْرَتَهَا يَوْمَ تُكْشَفُ الهَنَاتُ وَالسَوْءَاتُ.

◉ الْلَهُمَّ آمِنْ رَوْعَاتِهَا يَوْمَ تَخْشَعُ الأَصْوَاتُ، وَتَخْتَلِفُ اللُغَاتُ، وَيُحْشَرُ الأَحْيَاءُ وَالأَمْوَاتُ، وَتَكْثُرُ الْحَسَرَاتُ عَلَى فَوَاتِ الْحَسَنَاتِ،

وَتَعْنُو الوُجُوْهُ لِلوَاحِدِ القَهَّارِ، خَالِقِ اللَيْلِ وَالنَهَارِ، وَعَالِمِ الخَفَايَا وَالأَسْرَارِ.

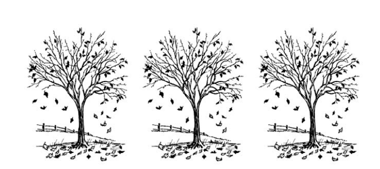
إِلَهِيْ: مَا أَضْيَقَ الطَرِيْقَ عَلَى مَنْ لَمْ تَكُنْ أَنْتَ دَلِيْلَهُ !

إِلَهِيْ: مَا أَوْحَشَ الدَرْبَ عَلَى مَنْ لَمْ تَكُنْ أَنْتَ أَنِيْسَهُ !

◉ اللَهُمَّ فَكُنْ لَهَا وَلَنَا في الطَرِيْقِ دَلِيْلاً، وَكُنْ لَهَا وَلَنَا في الدَرْبِ أَنِيْساً، وَاجْبُرْ مُصَابَنَا بِهَا يَا جَابِرَ كُلِّ كَسِيْرٍ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَتَلَقَّى أَمْرَكَ بِالقَبُوْلِ، وَأَقْدَارَكَ بِالتَسْلِيْمِ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ.

(**وَيَرْحَمُ اللهُ عَبْداً قَالَ آمِيْنَا**)[108].

وَالحَمْدُ لله عَلَى قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَإِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُوْنَ.



وَأَقْفَرَتْ
إذْ خَلَتْ مِنْ أُمِّيَ الدَارُ

◉ **أُمَّــاهُ:** هَا أنـا ذا يـا أُمَّاهُ أَنْصَرِفُ غَيْرَ مُخْتَارٍ مِنْ أَمَامِ قَبْرِكِ، فَأُوَلِّيْكِ ظَهْرِيْ، وَإِنَّهُ لَيَعُزُّ عَلَيَّ أنْ أَدَعَكَ بَيْنَ جِيْرَانٍ لا يَتَزَاوَرُوْنَ، وَأَصْحَابٍ لا يَتَسَامَرُوْنَ، قَوْمٍ يَسْتَوِيْ عِنْدَهُمُ اللَيْلُ وَالنَهَارُ، وَالصَيْفُ وَالشِتَاءُ، وَالرَبِيْعُ وَالخَرِيْفُ:

بِــأَرْضِ خَــلاءٍ لا حَبِــيْبٌ مُوَاصِــلٌ
وَلا زَائِــرٌ مِــنْهُمْ زِيَــارَةَ مُعْـتَــادِ[109]

وَإِنَّهُ لَيَحْزُنُنِيْ أنْ أتْرُكَكِ تَسْفِيْ عَلَى قَبْرِكِ الرِيَاحُ حَبَّاتِ الرَمْلِ، وَإِنَّ قَلْبِيْ لَيَبْكِيْ عَلَيْكِ وَعَلَى مَا انْصَدَعَ مِنَ الشَمْلِ:

رَجَعْــنَا وَافــرَدْنَاكِ غَــيْرَ فَرِيْــدَةٍ
مِــنَ البِــرِّ وَالــمَعْرُوْفِ وَالــخَيْرِ وَالكَــرَمْ[110]

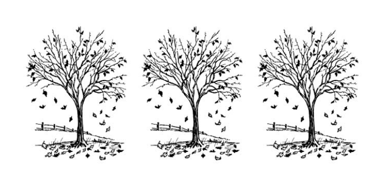
◉ **أُمَّـــاهُ:** هَا أَنَا ذا يَا أُمَّاهُ أَنْقَلِبُ إلى بَقِيَّةِ أَهْلِيْ، وَلَكِنْ بِـلا سُرُوْرٍ؛ فَلَقَدْ مَاتَ السُرُوْرُ بِـمَوْتِكِ يَا **(أُمَّ عَبْدِالله)**:

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

وَمَهْـمَا تكُـنْ مِـنْ ضِـحْكةٍ بَعْـدَ فَقْـدِهَا
فَـإِنِّيْ وَإِنْ أَظْهَرْتـهَا لَحَـزِيْنُ
سَـلامٌ عَـلَى أَيَّامِنَـا قَبْـلَ مَوْتِهَـا
إِذِ الـدَّارُ دَارٌ وَالـسُّرُوْرُ فُنُـوْنُ[111]

◉ **أُمَّـاهُ**: لَئِنْ عَزَّتْنِي يَا أُمَّاهُ حَيَاتُكِ لَقَدْ هَدَّتْنِيْ يَا أُمَّاهُ وَفَاتُكِ:

مَـا هَـدَّنِيْ مَـرُّ الـسِّنِيْنَ وَإِنَّـمَا
أَمْـسَيْتُ بَعْـدَكِ بِـالأَسَى مَهْـدُوْدَا[112]



وَأَقْبَلْتُ عَلَى الدَارِ التيْ طَالَـمَا أَنِسَتْ بِـأُمِّيْ رَحِمَهَا اللهُ، أَقْبَلْتُ عَلَيْهَا، وَقَدْ فَارَقَهَا أُنْسُهَا؛ بِـرَحِيْلِ مُؤْنِسِهَا؛ وَمَا مِنْ دَارٍ مُلِئَتْ فَـرَحاً إلا امْتَلأَتْ يَوْماً مِنَ الأَيَّامِ تـرَحاً، وَوَقَفْتُ أَمَامَ البَـابِ حَائِرَةً قَدَمِيْ بَيْنَ إِقْبَالٍ وإِدْبَارٍ:

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

إِنِّيْ وَقَفْـــتُ بِــــبَابِ الــدَارِ أَسْأَلُـــهَا

عَـنِ الحَبِـيْبِ الـذِيْ قَـدْ كَـانَ لِيْ فِيْهَـا

فَـــمَا وَجَـــدْتُ بِـــهَا طَيْفــاً يُكَلِّمُنِــيْ

سِــوَى نُــوَاحِ حَمَـــامٍ فِيْ أَعَالِيْهَـــا

يَـــا دَارُ أَيْــنَ أَحِبَّــائِيْ لَقَــدْ رَحَلُــوْا

وَيَــا تُـــرَى أَيَّ أَرْضٍ قَــدْ غَــدَوا فِـــيْهَا

لا يَعْــرِفُ الــشَوْقَ إلا مَــنْ يُكَابِــدُهُ

وَلا الـــصَبَابَةَ إلا مَـــنْ يُعَانِيْهَـــا

لا يَــسْهَرُ الْلَيْــلَ إلا مَــنْ بِــهِ أَلَــمٌ

لا تُحْــرِقُ النــَارُ إلا رِجْــلَ وَاطِــيْهَا[113]

وَدَخَلْتُ الدَارَ التِيْ أَمْسَتْ مِنْ أُمِّيْ خَالِيَةً بَعْدَ أَنْ ظَلَّتْ زَمَناً جَمِيْلاً بِهَا حَالِيَةً، دَخَلْتُهَا وَإِنِّيْ لأَكَادُ أَسْمَعُ نَشِيْجَ بُكَائِهَا وَأَنِيْنَهَا عَلَى فَقِيْدَتِهَا الغَالِيَةِ رَحِمَهَا اللهُ:

وَلَقَــدْ قَــصَدْتُ الــدَارَ بَعْــدَ رَحِيْلِهَا

وَوَقَفْــتُ فِــيْهَا وِقْفَــةَ الحَــيْرَانِ

وَسَـــأَلْتُهَا لَـــكِنْ بِـــغَيْرِ تكَـــلُّمِ
فَتَكَلَّمَـــتْ لَـــكِنْ بِـــغَيْرِ لِـــسَانِ
نَادَيْتُهَـــا يَـــا دَارُ أَيْـــنَ أُمَيْـــمَتِيْ
أَيْـــنَ التِـــيْ مَـــلأَتْكِ بِـــالتَحْنَانِ؟
قَالَـــتْ وَقَـــدْ فَـــاضَتْ مَآقِيْهَـــا وَفِـــيْ
جَنَبَاتِهَـــا رَجْـــعُ صَـــدَى الأَحْـــزَانِ
رَحَلَـــتْ بِـــلا رَجْـــعٍ فَيَـــا أَسَـــفَا عَـــلَى
أُمِّ الـمَـــكَارِمِ رَبَّـــةِ الإِحْـــسَانِ(114)

وَحَاوَلْتُ أنْ أَكُوْنَ مُتَجَلِّداً عِنْدَمَا أَدْخُلُ الدَارَ، وَأُقَابِـلُ أَحْبَاباً يُشَارِكُوْنَنِيْ فِيْ فَقْدِ الحَبِـيْبَةِ رَحِمَهَا اللهُ؛ كَيْ أَكُوْنَ قُدْوَةً تَشُدُّ العَزَائِمَ، مَعَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي الدَارِ يَبْكِيْ، ويُبْكِي البَوَاكِـيَ ؛ فَكُلُّ بُقْعَةٍ وَكُلُّ صَغِيْرٍ وَكُلُّ كَبِـيْرٍ يُذَكِّرُ وَلا يُنْسِيْ، وَيُشْجِـيْ وَلا يُسْلِـيْ، وَبِـلا شُعُوْرٍ...

تَلَفَّـــتُ عَـــلَيَّ أَنْ أَرَاهَـــا فُجَـــاءَةً
وَأَصْـــغَيْتُ عَـــلِّيْ أَنْ أَفُـــوْزَ بِـــكِلْمَةِ

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

وَقُلْتُ هُنَا عَاشَتْ وَهَذَا مَكَانُهَا

وَكِدْتُ أُنادِيْهَا لأَطْرُدَ وَحْشَتِيْ

وَقَلَّبْتُ طَرْفِيْ فِيْ يَمِيْنٍ وَشَمْأَلٍ

فَلَمْ أَلْقَ إلا مَا يُهَيِّجُ حَسْرَتِيْ(115)

◉ هَهُنَا مُصَلاهَا، وَحِيْنَ مَرَرْتُ بِهِ تَوَهَّمْتُ أَنَّنِيْ أَسْمَعُ أَنِيْنَهُ؛ أَلَمْ يَقُلْ أَمِيْرُ المؤمنينَ عَلِيُّ بنُ أبي طَالِبٍ - رضي الله عنه -: **(إذا مَاتَ العَبْدُ الصَالِحُ بَكَى عَلَيْهِ مُصَلاهُ مِنَ الأَرْضِ، وَمَصْعَدُ عَمَلِهِ مِنَ السَماءِ)**؟.

◉ وَهَهُنَا مَكَانُ جُلُوْسِهَا مَا زَالَ نَشْوَانَ بِطِيْبِ حَدِيْثِهَا....

◉ وَهَهُنَا مُجْتَمَعُهَا مَعَ زُوَّارِهَا عَلَى الطَعَامِ يَشْهَدُ بِكَرَمِهَا....

◉ وَهَهُنَا كَانَ مَكَانُ نَوْمِهَا وَمَعَهَا أَنِيْسَاهَا: (رَيَّانُ) وَالمِذْيَاعُ الذِيْ لا يُسْمِعُ إلا إذاعَةَ القُرْآنِ الكَرِيْمِ....

أَمْسَيْتُ فِي المَاضِيْ أَعِيْشُ كَأَنَّمَا

قَطَعَ الزَمَانُ طَرِيْقَ أَمْسِيْ عَنْ غَدِيْ

وَالطَـــــيْرُ صَــــادِحَةٌ عَــــلَى أَفــــنَانِهَا

تُبْكِــــي الرُبَــــى بِأَنِيْنِــــهَا الـمُتــــجَدِّدِ

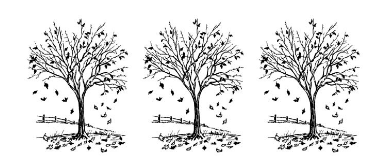
قَــــدْ طَــــالَ تَــــسْهِيْدِيْ وَطَــــالَ نَــــشِيْدُهَا

وَمَــــدَامِعِيْ كَالطَــــلِّ فِي الغُــــصْنِ النــــدِي

فَــــإِلَى مَتَــــى صَمْتِــــي كَــــأَنِّيْ زَهْــــرَةٌ

خَرْسَــــاءُ لَــــمْ تــــُرْزَقْ بَرَاعَــــةَ مُنْــــشِدِ[116]

وَبَدَتِ الدَارُ مُوْحِشَةً مُقْفِرَةً عَلَى الرَغْمِ مِنْ تَقَاطُرِ أَفْوَاجِ الـمُعَزِّيْنَ عَلَيْهَا؛ فَلَقَدْ فَقَدَتِ الدَارُ أَعَزَّ مَنْ كَانَ فِيْهَا، (**وَبِأَهْلِهَا تَغْلُو الدِيَارُ وَتَرْخُصُ**)[117]، أَجَلْ، لَقَدْ أَظْلَمَتْ إذ خَلَتْ مِنْ أُمِّيَ الدَارُ، (**بَلْ أَقْفَرَتْ إذ خَلَتْ مِنْ أُمِّيَ الدَارُ**)[118].



وَنَادَى لِصَلاةِ العَصْرِ مُنَادِي الحَقِّ وَالفَلاحِ: (**حَيَّ عَلَى الصَلاةِ، حَيَّ عَلَى الفَلاحِ**)، فَأَجَبْتُ الـمُنَادِيَ طَلَباً لِلْفَلاحِ وَلِلرَاحَةِ التِيْ لا أَحَدَ كَانَ أَحْوَجَ مِنِّيْ إِلَيْهَا بَعْدَ أَنِ اكْتَأَبَ القَلْبُ، وَضَاقَ الصَدْرُ،

وَاحْتبَسَتِ الدُمُوْعُ؛ أَلَمْ يَقُلْ رَسُوْلُنَا ﷺ: (**يَا بِلالُ أَرِحْنَا بِالصَلاةِ**)؟...

وَبَعْدَ الصَلاةِ أَقْبَلْتُ مِنَ المَسْجِدِ تُجَاهَ الدَارِ الحَزِيْنَةِ مَرَّةً أُخْرَى، وَلَسْتُ أَدْرِيْ: لِمَاذَا أَصْرَرْتُ عَلَى أَنْ أَمْلأَ مِنْ بَعِيْدٍ عَيْنِيَ مِنْ مَرْأَى دَارِ أُمِّيْ رَحِمَهَا اللهُ؟.

لَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظَرَ الشَحِيْحِ إِلى غَرِيْمٍ مُفْلِسٍ، وَنَظَرَ مَنْ كَأَنَّهُ يَرَاهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَحِيْنَ بَدَأْتُ أَرْمُقُ الدَارَ التِيْ طَالَمَا مَلأَتْ قَلْبِيْ زَهْوًا بِأَنْ كَانَ لأُمِّيْ -رَحِمَهَا اللهُ- بَيْتٌ يُنَاسِبُ مَقَامَهَا فِيْ قُلُوْبِنَا، حِيْنَ رَفَعْتُ عَيْنَيَّ صَوْبَ الدَارِ بَدَأَتْ صُوْرَتُهَا تَخْبُوْ فِيْ أَدْمُعِيْ:

ظَلَلْتُ كَأَنِّيْ مِنْ وِرَاءِ زُجَاجَةٍ
إِلى الدَارِ مِنْ فَرْطِ الصَبَابَةِ أَنْظُرُ
فَعَيْنَايَ طَوْراً تَغْرَقَانِ مِنَ البُكَا
فَأَعْشَى وَطَوْراً تَحْسِرَانِ فَأُبْصِرُ
فَلا مُقْلَتِيْ مِنْ غَامِرِ الدَمْعِ تَنْجَلِيْ
وَلا دَمْعَتِيْ مِنْ شِدَّةِ الوَجْدِ تُنْثَرُ

وَلَـيْسَ الـذِيْ يَجْـرِيْ مِـنَ العَـيْنِ دَمْعَهَـا

وَلَكِنَّهَـا نَفْـسِيْ تَـذُوْبُ فَتَقْطُـرُ(١١٩)

فَهَـذَا الـمَنْـزِلُ الـذِيْ طَالَمَـا أَسْـعَدَنِيْ أَمْـسَى الآنَ يُحْزِنُنِـيْ وَيُشْجِـيْـنِـيْ:

هَـذِيْ مَنَـازِلُ قَـدْ هَـيَّجْنَ لِـيْ شَـجَناً

وَكُنْـتُ أَعْهَـدُ فِـيْهَا مُـشْتَكَى الـشَجَنِ(١٢٠)

وَهَذِهِ الدَارُ التِيْ طَالَـمَا أَضْحَكَتْنِـيْ هَا هِـيَ ذِيْ قَدْ صَارَتِ اليَوْمَ بَعْدَ الأُنْسِ تُبْكِيْنِيْ :

عَهْـدِيْ بِـهَا تَكْتَـسِيْ أَبْـهَاجَ غُـرَّتِهَا

وَالبِـشْرُ يَقْطُـرُ زَهْـواً مِـنْ نَوَاحِـيْهَا

فَاعْجَـبْ وَمَـا قَـدْ أَرَاهَـا دَهْرُهَـا عَجَـبٌ

مَـنْ كَـانَ يُـضْحِكُهَا قَـدْ صَـارَ يُبْكِـيْهَا(١٢١)

وَذَرَفْتُ دَمْعَةً غَالِيَةً مِنْ عَيْنِ عَصِيِّ الدَمْعِ شِيْمَتُهُ الصَبْرُ، ذَرَفْتُهَا حِيْنَ تَذَكَّرْتُ أَنَّنِيْ سَأَدْخُلُ الدَارَ، وَلَنْ أَجِدَ فِيْهَا حَبِـيْبَةَ القَلْبِ (أُمِّيْ) بانْتِظَارِيْ، وَأنَّـهَا قَدْ رَحَلَتْ رِحْلَةً لا عَوْدَةَ مِنْهَا:

فَـــلا تَـــسْأَلَنَّ القَلْـــبَ عَمَّـــنْ أَحَبَّـــهُ
فَفِـــي القَلْـــبِ مِـــنْ فَقْـــدِ الحَبِيْـــبَةِ نَـــارُ
وَهَـــلْ أَدْخُلَـــنَّ الـــدَارَ مِـــنْ بَعْـــدِ أَهْلِهَـــا
فَـــمَا الـــدَارُ مِـــنْ بَعْـــدِ الحَبِيْـــبَةِ دَارُ
لَقَـــدْ أَوْحَـــشَتْ دَارُ الحَبِيْـــبَةِ بَعْـــدَهَا
وَغَـــارَتْ نُجُـــوْمُ الأُنْـــسِ فَهْـــيَ سِرَارُ[122]

وَمَا زَالَتْ جُمُوْعُ المُعَزِّيْنَ تَتَابَعُ جَمَاعَاتٍ إِثْرَ جَمَاعَاتٍ، فَأَفْوَاجٌ دَاخِلَةٌ، وَأُخْرَى خَارِجَةٌ، وَالجَمِيْعُ يَسْعَى جَاهِداً فِيْ مُحَاوَلَةِ تَخْفِيْفِ المُصَابِ وَتَسْكِينِ اللَوْعَةِ، وَعِنْدَئِذٍ أَدْرَكْتُ عَظَمَةَ هَذَا الدِيْنِ الحَنِيْفِ وَأَخْلاقَهُ النَبِيْلَةَ؛ فَمَا أَعْظَمَ أَثَرَ التَعْزِيَةِ فِيْ نَفْسِ المُعَزَّى!!! وَقَدْ بَالَغَ مَنْ قَالَ:

يُعَـــزِّي الـــمُعَزِّيْ ثُـــمَّ يَمْـــضِيْ لِـــشَأْنِهِ
وَيَبْقَـــى الـــمُعَزَّى فِيْ أَحَـــرَّ مِـــنَ الـــجَمْرِ[123]



اللهُمَّ يا خَيْرَ الرَاحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

وَانْفَضَّتِ الجُمُوْعُ، وَحَانَ وَقْتُ النَوْمِ لِمَنْ يُطِيْقُهُ، فَدَخَلْتُ غُرْفَةَ (أُمِّيْ) -رَحِمَهَا اللهُ- التي طَالَمَا آثَرَتْنِيْ بِهَا حِيْنَمَا أَحُلُّ ضَيْفاً عَلَيْهَا، فَوَجَدْتُ فِيْهَا مَنْ يَجْمَعُ ثِيَابَهَا وَأَشْيَاءَهَا الخَاصَّةَ، وَكَأَنَّهُمْ يَسْتَعْجِلُوْنَ مَحْوَ آثَارِهَا المُشْجِيَةِ، وَلَكِنْ أَنَّى لَهُمْ أَنْ يَمْحُوا آثَارَهَا مِنْ فُؤَادِيَ الذِيْ أَحَبَّهَا كَمَا لَمْ يُحِبَّ أَحَداً فِي الدُنْيَا مِثْلَهَا رَحِمَهَا اللهُ، فَهَاجَتِ الأَشْجَانُ فِيْ قَلْبِيْ، وَتَحَشْرَجَتِ الدُمُوْعُ فِيْ حَلْقِيْ، وَتَلَعْثَمَتِ الكَلِمَاتُ عَلَى لِسَانِيْ، وَوَارَيْتُ دَمْعَةَ عَيْنِيْ:

كَمْ عَبْرَةٍ مَوَّهْتُهَا بِأَنَامِلِيْ
وَسَتَرْتُهَا مُتَجَمِّلاً بِرِدَائِيْ [124]

وَتَقَلَّبْتُ عَلَى الفِرَاشِ كَاللَدِيْغِ المُسَهَّدِ يَائِساً مِنَ النَوْمِ:

إِنْ كَانَ لِلنَّاسِ نَوْمٌ يَهْنَئُوْنَ بِهِ
فَإِنَّ جَفْنِيَ لَمْ يَهْنَأْ بِتَغْمِيْضِ
كَأَنَّ جَنْبِيَ فِي الظَلْمَاءِ تَقْرِضُهُ
عَلَى الحَشِيَّةِ أَطْرَافُ المَقَارِيْضِ [125]

وَأَذلَلْـتُ دَمْعـاً مِـنْ خَلائِقِـهِ الكِـبْرُ[126]، وَكَانَـتْ لَيْلَـةً لَيْـسَتْ كَاللَّيَالِـيْ؛ فَفِيْهَا النَوْمُ وَدَّعَ مُقْلَتِيْ، وَاللَّيْلُ رَدَّدَ أَنَّتِيْ، وَالفَجْرُ لَـوْ بَانَتْ بَشَائِرُهُ بَعْدَ رَحِيْلِ أُمِّيْ لَنْ يُـبَدِّدَ وَحْشَتِـيْ:

بِـــتُّ سَاجِـــي الطَّـــرْفِ وَالـــحُزْنُ يُلِـــحُّ

وَالـــدُّجَى إِنْ يَمْـــضِ جُـــنْحٌ يَـــأْتِ جُـــنْحُ

يَلْمَـــــعُ الـــــدَّمْعُ بِـعَيْنِـــــيْ شَـــــرَراً

وَلِزَنْـــدِ الـــحُزْنِ فِي الأَحْـــشَاءِ قَـــدْحُ[127]

وَمَـا أَطْـوَلَ اللَيْـلَ عَـلَى الـسَاهِرِ!!![128]، وَلَيْـلُ الـحَـزِيْنِ بِـلا آخِـرٍ[129]:

تَطَـــاوَلَ لَـــيْلِيْ لَـــمْ أَنَـــمْهُ تَقَـــلُّباً

كَـأَنَّ فِـرَاشِيْ حَـالَ مِـنْ دُوْنِـهِ الـجَمْرُ[130]

فَكَيْفَ لِـمِـثْـلِـيْ أَنْ يَنَامَ؟

وَكَيْـــفَ تَرْقُـــدُ عَـــيْنٌ صَـــارَ مُؤْنِـــسُهَا

تَحْـتَ الـتُّرَابِ بِـوَسْطِ القَـبْرِ والكَفَـنِ[131]

- أَيْنَ مَنْ كَانَ يُـؤْنِـسُـنِـيْ بِـحَدِيْـثِهِ العَذْبِ قَبْلَ الـمَـنَامِ؟.
- أَيْنَ مَـنْ كَـانَ يَـتَـفَـقَّـدُ فِـرَاشِـيْ قَـبْـلَ الـمَـنَـامِ؟.
- أَيْنَ مَنْ كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَسْعُلَ؛ فَأَحْرِمَهُ لَـذِيْـذَ الـمَـنَامِ؟.
- أَيْنَ مَـنْ كَـانَ يُـوْقِـظُـنِـيْ لِـصَـلاةِ الـفَـجْـرِ وَالقِيَامِ؟.
- أَيْنَ.... وَأَيْنَ.... وأَيْنَ....؟.

وَأَسْئِلَةٌ لا تَنْتَهِيْ، وَلَكِنْ لا جَوَابَ.... إلا جَـوَابٌ واحِـدٌ يَأْتِـيْ بِـلِسَانِ الـحَالِ، لا بِـلِسَانِ الـمَقَالِ، هُوَ: (لَقَدْ مَـاتَـتْ).

أَجَلْ، لَقَـدْ مَـاتَـتْ.... (**أُمُّ عبـدِالله**)... وَغَـابَ عَنِّـيْ كِـيَانُهَا وَحُبُّهَا وَعَطْفُهَا وَحَنَانُـهَا:

وَلَمْ يَبْـــــقَ إلا ذِكْرَيَـــــاتٌ شَـجِــــــيَّةٌ

وَطَيْــفٌ يُوَاتِيْنِـــيْ إذا الطَــرْفُ هَوَّمَـــا[132]

وَبَقِيْتُ وَحْدِيْ أَهِـيْمُ فِيْ هَذِهِ الدُنْيَا الـمُوْحِشَةِ بِـلا أَنِيْسٍ، وَإِنْ كَـثُرَ حَوْلِـيَ الأَحْيَاءُ، وَإِنَّهُ لَبَقَاءٌ إلى حِيْنٍ:

وَلَــئِنْ بَقِيْـــتُ وَقَـــدْ هَلَكْـــتِ فَـــإِنَّ لِيْ

أَجَــــلاً وَإِنْ لَــــمْ أُحْـــصِهِ مَعْـــــدُوْدَا

لا مَـــوْتَ لِـــيْ إِلاَ إِذَا الأَجَـــلُ انْقَـــضَى

فَهُنْـــــاكَ لاَ أَتَجَـــــاوَزُ الــــــمَحْدُوْدَا

ومَـــعَ البَقَـــاءِ فَإِنـــنِّيْ بـــــكِ لاَحِـــقٌ

مِـــنْ عَـــنْ قَرِيْـــبٍ لاَ أَرَاهُ بَعِيْـــدَا[133]

◉ رَحِمَ اللهُ أُمِّيْ وَأُمَّهَاتِ الـمُسْلِمِيْنَ رَحْمَةً وَاسِعَةً، وَجَمَعَنِيْ بِأُمِّيْ جِوَارَ نبيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ في الفِرْدَوْسِ الأَعْلَى مِنَ الـجَنَّةِ.

◉ رَحِمَ اللهُ أُمِّيْ وَأُمَّهَاتِ الـمُسْلِمِيْنَ رَحْمَةً وَاسِعَةً، وَجَمَعَنِيْ بِأُمِّيْ جِوَارَ نبيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ في الفِرْدَوْسِ الأَعْلَى مِنَ الـجَنَّةِ.

◉ رَحِمَ اللهُ أُمِّيْ وَأُمَّهَاتِ الـمُسْلِمِيْنَ رَحْمَةً وَاسِعَةً، وَجَمَعَنِيْ بِأُمِّيْ جِوَارَ نبيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ في الفِرْدَوْسِ الأَعْلَى مِنَ الـجَنَّةِ.

◉ رَحِمَ اللهُ أَبِيْ وَآبَاءَ الـمُسْلِمِيْنَ رَحْمَةً وَاسِعَةً، وَجَمَعَنِيْ بِأَبِيْ جِوَارَ نبيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ في الفِرْدَوْسِ الأَعْلَى مِنَ الـجَنَّةِ.

◉ رَحِمَ اللهُ أَبِيْ وَأُمِّيْ وَآبَاءَ الـمُسْلِمِيْنَ وَأُمَّهَاتِهِمْ رَحْمَةً وَاسِعَةً، وَجَمَعَنِيْ بِوَالِدَيَّ جِوَارَ نبيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ في الفِرْدَوْسِ الأَعْلَى مِنَ الـجَنَّةِ.

اللهُمَّ يا خَيْرَ الرَاحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

◉ وَرَحِمَ اللهُ كُلَّ مَنْ رَفَعَ يَدَيْهِ مُتَضَرِّعاً، وَدَعَا صَادِقاً مُخْلِصاً لِـيْ وَلأُمِّيْ وَأَبِـيْ بِـالرَحْمَةِ وَالغُفْرَانِ، وَالفَوْزِ بِـالجَنَّةِ، وَالعِتْقِ مِنَ النِـيْرَانِ.

وَلا قَرَّتْ عَيْنُ مَنْ لا يَبَرُّ وَالِدَيْهِ.

وَلا نَامَتْ عَيْنُ مَنْ يَعُقُّ وَالِدَيْهِ.

وَالحَمْدُ للهِ عَلَى قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ.



اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

عَبْرَةٌ مِنْ بَحْرِ دَمْعِيْ

◉ إلى مَنْ رَحَلَتْ؛ لِتَزْرَعَ فِيْ قَلْبِيَ الأَسَى والحُزْنَ بِغَيْرِ اِخْتِيَارٍ مِنْهَا وَلا مِنِّيْ.

◉ إلى مَنْ تَمَنَّتْ بَعْدَ رَحِيْلِهْا كُلُّ أُمٍّ لَوْ كَانَتْ هِيَ الرَاحِلَةَ؛ بِسَبَبِ كَثْرَةِ دُعَاءِ النَاسِ لَهَا وَثَنَائِهِمْ عَلَيْهَا.

◉ إلى مَنْ أَحْيَتْ بِمَوْتِهَا القُلُوْبَ، فَصَحَّ فِيْهَا قَوْلُ القَائِلِ :

(عَجَباً لأَمْوَاتٍ تَحْيَا بِذِكْرِهِمُ القُلُوْبُ، وَعَجَباً لأَحْيَاءٍ تَمُوْتُ بِمُجَالَسَتِهِمُ القُلُوْبُ).

◉ إلى مَنْ يُذَكِّرُنِيْ بِهَا كُلُّ شَيْءٍ:

أَذَانُ المُؤَذِّنِ؛ فَمَا أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ إلا تَذَكَّرْتُ تَسْبِيْحَ أُمِّيْ

وَقِرَاءَةُ الإِمَامِ؛ فَمَا تَلا إمامٌ آيَةً إلا جَرَتْ دَمْعَتِيْ أَسَفاً عَلَى فِرَاقِ أُمِّيْ

وَنَسِيْمُ الصَبَاحِ؛ فَمَا هَبَّتْ نَسْمَةٌ إلا وَجَدْتُ فِيْهَا شَيْئاً مِنْ حَنَانِ أُمِّيْ

وَشَمْسُ الأَصِيْلِ فَمَا أَفَلَتْ شَمْسٌ إلا تَدَاعَتْ إلى مُخَيِّلَتِيْ صُوْرَةُ قَبْرِ أُمِّيْ

وَشَفَقُ الغُرُوْبِ؛ فَمَا احْمَرَّ شَفَقٌ إلا ذَكَرْتُ سَاعَةَ وَفَاةِ أُمِّيْ

وَرُؤْيَـةُ أَيِّ أُمٍّ؛ فَـمَا لَمَحْـتُ أُمّـاً إلا خَفَـقَ قَلْبِـيْ حَزَنـاً عَـلَى رَحِـيْلِ أُمِّـيْ

وَصَـوْتُ أَيِّ أُمٍّ؛ فَـمَا سَـمِعْتُهُ إلا تَـشَوَّفَتْ أُذُنَـايَ بِـيَأْسٍ لأَحَادِيْـثِ أُمِّـيْ

بَلْ كُلُّ هَمْزَةٍ وَمِيْمٍ فَمَا مِنْ حَرْفٍ إلا يَنْشُرُ صَـفَحَاتِ الأُنْـسِ مِـنْ حَيَـاةِ أُمِّـيْ

- إلى مَنْ صَيَّرَتْنِيْ:

أَبِـــيْتُ عَــلَى الــذِكْرَى وَأَصْــحُوْ بِــمِثْلِــهَا

وَإِنْ نِمْــتُ لَــمْ يَــبْرَحْ خَيَالُــكِ زَائِــرِيْ[134]

- إلى مَنْ جَعَلَتْنِيْ أَنَامُ عَلَى دَمْعَةٍ سَخِيْنَةٍ، وَأَصْحُوْ عَـلَى دَمْعَـةٍ سَخِيْنَةٍ.

- إلى أُمِّيَ الـحَبِـيْبَةِ -رَحِمَهَا اللهُ- حَيْثُ هِـيَ هُنَاكَ تَـحْتَ أَطْبَاقِ الثَرَى.

- إِلَيْـكِ يَـا أُمِّـيَ الغَالِـيَةَ - بَعْـدَ أنْ أَسْـأَلَ اللهَ لَـكِ الــمَغْفِرَةَ والرِضْوَانَ - أُهْدِيْ:

«عَبْرَةٌ مِنْ بَحْرِ دَمْعِيْ» (135)

أُحِبُّـــكِ يَـــا أُمِّـــيْ عَـــلَى القُـــرْبِ والبُعْـــدِ
أُحِبُّـــكِ يَـــا أُمِّـــيْ وَلَـــوْ كُنْـــتِ فِي اللَحْـــدِ

أُحِبُّـــكِ حُبّـــاً لَـــوْ مَزَجْـــتُ رَحِيْـــقَهُ
بِبَحْـــرٍ لَـــصَارَ البَحْـــرُ أَحْـــلَى مِـــنَ الـــشَهْدِ

أُحِبُّـــكِ حُبّـــاً لَـــوْ يَـــسِيْرُ سَفِيْنُـــهُ
عَـــلَى الـــيَمِّ أَلْـــهَاهُ عَـــنِ الـــجَزْرِ وَالـــمَدِّ

أُحِبُّـــكِ حُبّـــاً لَـــوْ أَظَـــلَّ سَحَابُـــهُ
لأَهْمَـــى بِـــلا بَـــرْقٍ يَلُـــوْحُ وَلا رَعْـــدِ

أُحِبُّـــكِ حُبّـــاً لَـــوْ سَـــقَيْتُ بِـــمَائِهِ
فَيَـــافِيَ نَجْـــدٍ أَوْرَقَ الـــشِيْحُ فِيْ نَجْـــدِ

أُحِبُّـــكِ حُبّـــاً لَـــوْ بَـــسَطْتُ رِدَاءَهُ
عَـــلَى القَـــاعِ فَـــاقَ الـــرَوْضَ بِـــالعُشْبِ وَالرَنْـــدِ

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

أُحِبُّـــكِ حُبّـــاً لَـــوْ نَثـــَرْتُ عَبـــِيْرَهُ

بِـدَرْبِ عَـرُوْسٍ مَـا اشْـتَهَتْ عِطْرَهَـا الـوَرْدِي

أُحِبُّـــكِ حُبّـــاً لَـــوْ نَقَـــشْتُ حُرُوْفَـــهُ

عَـلَى الـصَخْرِ ذَابَ الـصَخْرُ مِـنْ شِـدَّةِ الوَجْـدِ

أُحِبُّـــكِ حُبّـــاً لَـــوْ قَـــدَحْتُ زِنَـــادَهُ

عَـــلَى التـــُرْبِ أَوْرَى كَالـهَـــشِيْمِ مَـــعَ الزَنْـــدِ

أُحِبُّـــكِ حُبّـــاً لَـــوْ أَعَـــرْتُ قَلِيْلَـــهُ

لِغَـــيْرِيَ لَـــمْ يَكْـــتُمْ عُقُوْقـــاً وَلَمْ يُبْـــدِ

أُحِبُّـــكِ حُبّـــاً لَـــوْ يَفِـــيْضُ يَـــسِيْرُهُ

عَـلَى النَـاسِ عَـاشَ النَـاسُ طُـرّاً بِـلا حِقْـدِ

أُحِبُّـــكِ حُبّـــاً لَـــوْ تـــَقَادَمَ عَهْـــدُهُ

لَكَـانَ كَـطِيْبِ العُـوْدِ يَزْكُـوْ مَـعَ العَهْـدِ

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيانِيْ صَغِيْراً

أُحِبُّكِ حُبّاً تَزْدَهِيْهِ لَطَافَةٌ

أَرَقُّ مِنَ الدِيْبَاجِ فِيْ نَاعِمِ الأَيْدِيْ

أُحِبُّكِ حُبّاً لَيْلُهُ كَنَهَارِهِ

غَنِيٌّ عَنِ الشَمْسِ وَلا البَدْرَ يَسْتَجْدِيْ

أُحِبُّكِ حُبّاً صَيْفُهُ كَشِتَائِهِ

رَبِيْعٌ مَرِيْعٌ لا يُكَدَّرُ بِالوِرْدِ

أُحِبُّكِ حُبّاً فَاقَ حُبِّيْ أَحِبَّتِيْ

فَلَيْسَ لِحُبِّ الأُمِّ فِي القَلْبِ مِنْ نِدِّ

أُحِبُّكِ حُبّاً أَعْجَزَ الشِعْرَ وَصْفُهُ

كَمَا أَعْجَزَ الوُصَّافَ وَصْفُ صَبَا نَجْدِ

أُحِبُّكِ حُبّاً لَمْ يَرَ النَاسُ مِثْلَهُ

بِهِ تُضْرَبُ الأَمْثَالُ فِي صَادِقِ الوُدِّ

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

أُحِبُّـــكِ حُبّـــاً مَـــا يُبَـــاعُ وَيُـــشْتَرَى

لأنَّ كُنـــُـوْزَ الأرْضِ دُوْنَ الـــذِيْ عِنْـــدِيْ

أُحِـــبُّكِ قَـــوْلاً وَاعْتِقَـــاداً وَمَـــسْلَكاً

جِـــهَاراً وَمَـــا أُخْـفِـــيْهِ فَـــوْقَ الَـــذِيْ أُبْـــدِيْ

وَأَشْـــــهَدُ أَنِّـــــيْ رَغْـــــمَ ذَاكَ مُقَـــــصِّرٌ

بِـــحَقِّ الَتِـــيْ أَعْطَـــتْ كَثِـــيْراً وَلـــَمْ تـــُكْدِ

وَحُـــــبُّكِ يَـــا أُمِّـــيْ وَلِـــيْداً عَرَفْـــتُهُ

وَأرْضَـــعْتِنيْ إِيَّـــاهُ مُـــذْ كُنْـــتُ فِي الـــمَهْدِ

زَرَعْـــتِ وَأسْقَـــيْتِ فَـــأوْرَقَ وَاسْتـــَوَى

وَمَـا أطْيَـبَ الأَثْـــمَارَ فِـــيْ مَوْسِـمِ الحَـصْدِ

وَمَـــا سَاءَنِـــيْ إلا تَـأخـــُرُ جَنْيِهَـــا

فَبَاذِرُهَـــا مَـــا نَـــالَ مِنْهَـــا سِـــوَى الكَـــدِّ

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيانِيْ صَغِيْراً

أُحِبُّــــكِ يَــــا أُمِّـــيْ وَحَبْــــلُ مَـــوَدَّتِيْ

عَــسِيْرٌ عَــلَى القــطْعِ وَيَقــوْى مَــعَ الــشَدِّ

أُحِبُّــــكِ وَالأَحْـــزَانُ لَيْــــلٌ يَحُـــوْطُنِيْ

وَمَــا أَطْــوَلَ اللَيْــلَ البَهِــيْمَ بِــلا سَــعْدِ

إذا غَرَبَـــتْ شَـــمْسٌ بَكَيْـــتُ أُمَيْمَتِـــيْ

وَعِنْــدَ طُلُــوْعِ الــشَمْسِ أَبْكِــيْ مِــنَ الــسُهْدِ

وَإِنْ بَــزَغَ البَــدْرُ بَــدَا كَاسِــفَ الــرُؤَى

تَوَشَّـــحَ فِيْ هَـــالٍ مِـــنَ الـــحُزْنِ مُرْبَـــدِّ

وَتَـــبْدُوْ عُيُـــوْنُ اللَيْـــلِ غِـــيْضَ سَـــنَاؤُهَا

وَكُـــنْتُ بِـــهَا قَـــبْلاً إِذَا تِـــهْتُ أَسْـــتَهْدِيْ

وَحَتَّـــى نَـــسِيْمُ الفَجْـــرِ غَـــيَّرَ طَبْعَـــهُ

سَـــمُوْماً غَـــدَا بَعْـــدَ الطَـــرَاوَةِ وَالـــبَرْدِ

فَــلا الْلَــيْلُ لَيــْلٌ مِثْلَمَــا كَــانَ رَاحَــةً

وَلا الــصُبْحُ مَوْعُــوْدٌ بِمُــسْتَوْجِبِ الــحَمْدِ

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

تَنُوْحُ حَمَامُ الدَوْحِ مِثْلِيْ صَبَابَةً

وَمَا حُزْنُهَا حُزْنِيْ وَلا وَجْدُهَا وَجْدِيْ

فَقَدْ فَقَدَتْ إِلْفاً يُعَاضُ بِمِثْلِهِ

وَمَنْ يَفْتَقِدْ أُمّاً فَيَا بُؤْسَ لِلفَقْدِ

تَوَقَّدُ فِيْ جَنْبَيْهِ نَارُ الْتِيَاعِهِ

يَكَادُ لَظَاهَا يُشْعِلُ القَلْبَ بِالوَقْدِ

وَيَجْثُمُ كَابُوْسٌ مِنَ الغَمِّ وَالأَسَى

عَلَيْهِ فَيَنْهَدُّ بِهِ أَيَّمَا هَدِّ

ولِلْحُزْنِ آيَاتٌ تَدُلُّ عَلَى الفَتَى

عِيَاناً وَمَا تَخْفَى عَلَى الأَعْيُنِ الرُمْدِ

أَنِيْنٌ وَزَفْرَاتٌ وَغَمٌّ وَحَسْرَةٌ

وَكُلٌّ عَلَى كُلٍّ مِنَ البُؤْسِ يَسْتَعْدِيْ

هِيَ الأُمُّ نِبْرَاسُ الحَيَاةِ وَضَوْؤُهَا

إِذَا ارْتَحَلَتْ يَأْتِي الظَلامُ عَلَى الوَعْدِ

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

إذَا قــُلْتُ : (يَـا أُمِّـيْ) بَكَـتْ كُـلُّ أَحْـرُفِيْ

عَـلَى فَقــْدِ مَـنْ كَانَــتْ يُؤَرِّقــُهَا فَقــْدِيْ

وَمَــنْ بَـانَ قـَدْ يَأتِـيْ وَلَـوْ غـَابَ حِقـْبَةً

وَغيَـْبَةُ مَـــنْ حَــلَّ القـــُبُوْرَ بــِلا عَـــوْدِ

أُحِبُّـــكِ يَــا أُمِّـــيْ وَسَـــيْلُ مَـــصَائِبِيْ

بـــِمَوْتِكِ قـَـدْ أَرْبـَـى عَــلَى هَامَـــةِ الــسَدِّ

وَحَسْبِيْ مُصَاباً أنَّ فَقْدَكِ تَارِكِيْ

أُقَـضِّيْ خـَرِيْفَ العُمْـرِ مُسْتَوْحِـشاً

أُكَابِــدُ -مَكْـسُوْرَ الجَــنَاحَيْنِ - غُرْبَــةً

وَإِنْ كَــانَ لِـيْ فِي كُـلِّ وَادٍ بَنُـوْ سَـعْدِ

وَمَـــنْ رَامَ عَيْـــشاً بَعْـدَ مَـوْتِ صَــفِيِّهِ

فـَعَيْشُ كَـلا عَـيْشٍ وَإِنْ جَـلَّ فِي العَـدِّ

أُحِبُّـــكِ يَـــا أُمِّـــيْ وَمَـــنْ ذَا يَلُـــوْمُنِيْ

لِـحُـزْنِـيْ عَلَيْـكِ إِذْ سَـبَقْتِ إِلى اللَّحْـدِ

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

رَحَلْـتِ بِأَفـْرَاحِيْ وَأُنْـسِيْ وَسَلـْوَتِيْ

وَأَمْنِيْ وَآمَالِيْ وَحَفـزِيْ لَـدَى جَهْـدِيْ

فَأَصْـبَحْتُ وَالإِمْـسَاءُ مِثـْلُ صَبَـاحِهِ

كَلَـفْظٍ بِـلا مَعْنـًى وَسَعْيٍ بِلا قَـصْدِ

وَعَيْنِـيْ عَـلَى مَـا فَـاتَ تـَذْرِيْ دُمُوْعَهَـا

وَقَلْبِـيْ إِلَى الآتِـيْ يَسِيْرُ بِـلا رِفْـدِ

فـَحُزْنِيْ عَلَيْـكِ الـدَهْرَ لَـيْسَ بِبَـارِحٍ

بِـغَيْرِ جِـوَارِيْ مَعْـكِ فِيْ جَنَّـةِ الخُـلْدِ

سَـلامٌ عَـلَى الدُنْـيَـا تـَنَاثَرَ عِقْـدُهَا

وَقَـدْ كُنْـتِ يَـا أُمَّـاهُ وَاسِـطَةَ العِقْـدِ

سَـلامٌ عَلَيْهَـا عَذْلُـهَا فِـيْ بَلائِـهَا

وَعَلْقَمُهَا مَا انْفَكَّ حَتَّى عَنِ الشَهْدِ

بِـهَا الـمَوْتُ كَالمِنْـشَارِ غَـادٍ وَرَائِـحٌ

وَمَـنْ يَـأْمَنِ الدُنْيَـا يَجِـدْ أَبْلَـغَ الـرَدِّ

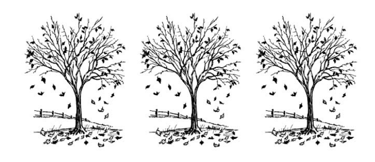
اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

إذَا صَاحَ طِفْلٌ مُسْتَهِلاً حَيَاتَهُ
بَكَى غَيْرُهُ مَيْتاً أَعَزَّ مِنَ الوِلْدِ
وَإِنْ صَفَّقَتْ دَارٌ سُرُوْراً تَكَدَّرَتْ
دِيَارٌ بِهَا فَالضِدُّ يَحْيَا مَعَ الضِدِّ
سَلامٌ عَلَى الدُنْيَا سَلامَ مُوَدِّعٍ
يَرَى أنَّ بَطْنَ الأَرْضِ آنَسُ لِلعَبْدِ
فَمَنْ حَامَ حَوْلَ البِئْرِ لا بُدَّ وَاقِعٌ
وَبِئْرُ المَنَايَا فَاغِرٌ فَاهُ لِلْوِرْدِ
لَقَدْ آنَ تَرْحَالِيْ وَغَيْرِيَ لاحِقِيْ
فَلَمْ تُبْقِ مَنْ قَبْلِيْ لِتُبْقِيَ مَنْ بَعْدِيْ
وَلَيْسَ مَعَ الأقْدَارِ لِلْمَرْءِ مَهْرَبٌ
وَلا مَسْلَكٌ يُنْجِيْ وَلا حِيْلَةٌ تُجْدِيْ
سَأَصْبِرُ حَتَّى يُوْقِنَ الصَبْرُ أَنَّنِيْ
صَبُوْرٌ وَلَوْ أَوْدَى بِيَ الصَبْرُ لِلَّحْدِ

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

فَــصَبْرٌ جَمِــيْلٌ إنَّ فِــي الــصَبْرِ رَاحَــةً

وَأجْراً وَإنَّ الصَبْرَ هَـدْيُ أُولِـي الرُشْــدِ



رِسَالَةٌ إلى حَبِيْبَتِيْ

حَبِـيْبَتِـيْ:

لَمْ يَزَلْ مَكَانُكِ فِيْ قَلْبِـيْ خَالِياً لا يَسْتَحِقُّهُ غَيْرُكِ.

وَلا تَحْلُمُ بِـمُزَاحَمَتِكِ عَلَيْهِ أُخْرَى.

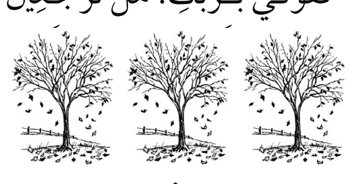
وَلَمْ تَزَلْ مَوَدَّتُكِ فِيْ قَلْبِـيْ تَنْمُوْ وَتَكْبُرُ.

وَلا زِلْتُ أُمَنِّيْ النَفْسَ بِـانْتِهَاءِ هَجْرِكِ

وَسَقَيْتِـنِيْ مِـنْ مَـاءِ هَجْـرِكِ مَـا لَـهُ

أَصْـبَحْتُ أَشْرَقُ بِـالزُلالِ البَـارِدِ(136)

فَقُوْلِيْ بِـرَبِّكِ: هَلْ تَرْجِعِيْنْ؟



حَبِـيْبَتِـيْ :

كُنْتُ آنَفُ مِمَّنْ يَهْجُرُنِيْ يَوْماً أَنْ يُقْبِـلَ عَلَيْهِ قَلْبِـيْ مَرَّةً أُخْرَى

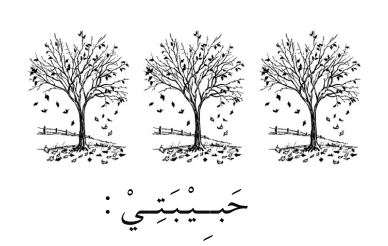
فَأَنْصَرِفُ عَنْهُ وَشِعَارِيْ:

إِذَا انْـصَرَفَتْ نَفْـسِيْ عَـنِ الـشَيْءِ لَمْ تَكَـدْ

عَلَيْـهِ بِـوَجْهٍ آخِـرَ الـدَهْرِ تُقْبِـلُ(137)

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

لَكِنْ مَا بَالُكِ تَهْجُرِيْنَنِيْ سَنَوَاتٍ، وَقَلْبِـيْ مَعَ ذاكَ يَزْدَادُ بِـكِ تَعَلُّقاً وَلَكِ حُبّاً ؟ ألا تَشْعُرِيْنَ بِـحُبِّي الدَفِيْنْ ؟



حَبِـيْبَتِـيْ :

حِـيْنَـمَا حُرِمَتْ عَيْنِـيْ مِنْ رُؤْيَاكِ

وَأُذُنِـيْ مِـنْ سَـمَاعِ نَجْـوَاكِ

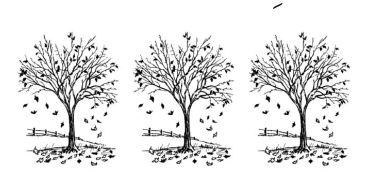
وَقَلْبِـيْ مِـنَ التَلَـذُّذِ بِـلُقْيَاكِ

لَجَأْتُ إلى الاسْتِمْتَاعِ بِـاسْتِرْجَاعِ الصُوَرِ البَهِيَّةِ

لِتِلْكَ الأَيَّـامِ وَاللَيَالِي العَامِرَةِ بِـأَجْمَلِ الذِكْرَيَاتِ النَدِيَّةِ.

وَأَحْمِلُ كَنْزاً مِنَ الذِكْرَيَاتِ لِتِـلْكَ العُهُوْدِ التِـيْ لا تَعُـوْدْ(138)

أَيُغْنِي الخَيَالُ مَكَانَ اليَقِـيْنْ؟



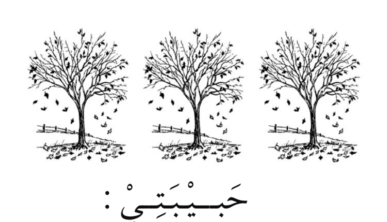
اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

حَبِـيْبَتِـيْ

لَقَدِ اعْتَادَ العَاذِلُوْنَ أنْ يَفْرَحُوْا بِـكُلِّ جَفْوَةٍ تَكُوْنَ بَيْنَ الأَحْبَابِ، لَكِنَّ هَجْرَكِ الطَوِيْلَ لِيْ أَثَّـرَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فِـيْ حَيَاتِـيْ حَتَّى غَرَسَ الرَحْمَةَ لِيْ فِيْ قُلُوْبِ حُسَّادِيْ :

وَحَـــسْبُكَ مِــــنْ حَــــادِثٍ بِـــــامْرِئٍ
تَــــرَى حَاسِدِيــــهْ لَــــهُ رَاحِمِيْـــــنَا[139]

وَلا أَبْـتَغِيْ رَحْمَةَ الـحَاسِدِيْنْ.



حَبِـيْبَتِـيْ :

السُهْدُ أَرَّقَنِـيْ، وَأَبْلَـى مُهْجَتِـيْ.

وَالـحُزْنُ أَغْرَقَ بِـالـمَدَامِعِ مُقْلَتِـيْ.

وَالـهَجْرُ أَفْنَى مَا بَقَى مِنْ بَهْجَتِـيْ.

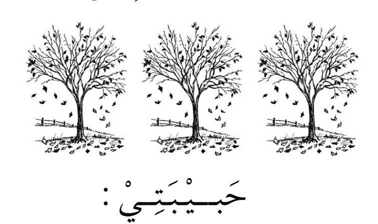
إنْ كَانَ يُرْضِـيْكِ شَقَائِيْ صَارَ حَقّاً سَلْوَتِـيْ.

لَكِنَّنِـيْ وَعُقُوْدُ عُمْرِيْ كُلُّهَا هِـيَ حُجَّتِـيْ.

مَا كُنْتُ أَعْهَدُ فِـيْكِ إلا مَا يُبَدِّدُ وَحْشَتِـيْ.

مَا كُنْتُ أَعْرِفُ مِنـْكِ إلا مَا يُكَفْكِفُ دَمْعَتِـيْ.

أَتـُرَاكِ غَـيَّرَكِ الزَمَانُ كَحَالِ كُلِّ العَالَـمِـيْنْ؟



حَبِـيْـبَتِـيْ :

عُوْدِيْ... وَإنْ شِـئـْتِ فَلا...

كُوْنِـيْ كَمَا يُمْلِيْ عَلَيْكِ فُؤَادُكِ الذِيْ عَهْدِيْ بِـهِ أَنْقَى النَقَاءْ.

عُوْدِيْ... وَإنْ شِـئـْتِ فَلا...

لَكِنْ ثِقِيْ أنـِّيْ أَرَاكِ كُلَّ صُبْحٍ وَمَسَاءْ.

عُوْدِيْ... وَإنْ شِـئـْتِ فَلا...

فَخَيَالُكِ الـمَحْبُوْبُ أَصْبَحَ بُؤْبُؤاً لِلْعَيْنِ وَهْوَ لَـهَـا ضِـيْاءْ.

عُوْدِيْ... وَإنْ شِـئـْتِ فَلا...

فَالعُمْرُ آذَنَ بِـالرَحِـيْلِ وَعِنْدَ ذاكَ يَكُوْنُ فِـيْهِ لَنَا لِقَاءْ.

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيانِيْ صَغِيْراً

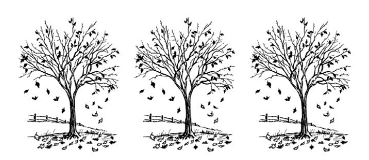
عُوْدِيْ... وَإنْ شِئْتِ فَلا...

فَالقَبْرَ يا أُمَّاهُ سِرْتِ إلَيْهِ كَما يَسِيْرُ كُلُّ الأَتْقِيَاءْ.

عُوْدِيْ... وَإنْ شِئْتِ فَلا...

مَا عَادَ مَيْتٌ قَبْلِ مَوْتِ (أُمَيْمَتِيْ) رَمْزِ الوَفَاءْ

لَكِنَّ رَحْمَةَ رَبِّنَا أَمَلٌ لِكُلِّ الآمِلِيْنْ.



أُمِّيْ

لعبد العليم اليوسفيّ

تَغْمُرِيْنَ الأُفْقَ ظِلاً وَنَدَى
فِيْ مَتَاهَاتِيْ إِذَا اللَيْلُ بَدَا

تَنْشُرِيْنَ النُوْرَ فِيْ دَرْبِيْ إِذَا
سِرْتُ كَالأَعْشَى عَلَى غَيْرِ هُدَى

يَتَعَرَّى اللَيْلُ مِنْ ظُلْمَتِهِ
حِيْنَ تَغْشَيْنَ سَمَاهُ الأَسْوَدَا

أَتَغَنَّاكِ مَعَ الصَحْوِ وَلا
تَبْرَحُ الأَحْلامُ مِنْكِ مَوْرِدَا

اِسْمُكِ النَاعِمُ إِذْ أَهْمِسُهُ
تُصْبِحُ النَايَاتُ لِلْهَمْسِ صَدَى

أَلِفٌ يَتْبَعُهُ مِيْمٌ فَمَا
أَجْمَلَ الحَرْفَيْنِ حِيْنَ اتَّحَدَا

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

لَـــــمْ أَزَلْ أَعْـــــشَقُ حِـــــضْناً ضَمَّنِـــــيْ

لَيْـــتَ مَـــاضِي الأَمْـــسِ يَـــأْتِينِيْ غَـــدَا

يَـــا لَحُبِـــيِّْ لَـــكِ مَـــنْ يُحْـصِيْهِ مَـــنْ ؟

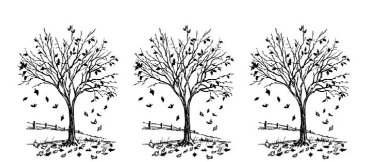
هَـــلْ رِمَـــالُ الأَرْضِ تُحْـــصَى عَـــدَدَا

فَلَكَـــمْ أَشَـــدُوْكِ (أُمِّـــيْ) وَلَـــكَمْ

طَـــرِبَ الـــكَوْنُ لِـــشَدْوِيْ فَـــشَدَا

إِنَّ حُبِّـــيْ لَـــكِ حُـــبٌّ خَـــالِدٌ

يَتَـــعَدَّى الـــمَوْتَ... يَجْتَـــازُ الـــمَدَى



اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

إلى أُمِّيْ[140]

للشاعر عبد العزيز جويدة

أنـا الكَلِمَاتُ تَحْتَرِقُ...

عَلَى شـفَتِـيْ

وَأَنْفَاسِيْ تَهُبُّ كَمِثْلِ نِـيْرَانٍ عَلَى رِئَتِـيْ

أنـا قُلْتُ: مَسَاءُ الـخَيْرِ يَا أُمِّيْ

وَمَا رَدَّتْ...

تُرَاهَا قَدْ نَسَتْ لُغَتِـيْ؟

فَتَحْتُ البَابْ

وَأَغْلَقْتُ.. وَرَائِـي البَابْ

وَنَادَتْنِيْ لَيَالِـي الأَمْسِ وَالأَحْبَابْ

وَحَيَّيْتُ الذِيْ يَجْلِسْ..

جِوَارِيْ دَائِمًا أَبَداً

مَسَاءُ الـخَيْرِ يَا حُزْنِـيْ

فَرَدَّ الـحُزْنُ بِـالتِرْحَابْ.



تَذَكَّرْتُ...

هُنَا وَجْهَكْ

وَوَجْهُكِ طَلَّةٌ مِنْ نُوْرْ

وَقَلْباً يُشْبِـهُ البَلُّوْرْ

وَتَسْبِـيْحاً وَتكْبِـيْراً

وَعِطْرَ بَخُوْرْ.

تَذَكَّرْتُ...

هُنَا التَـنُّوْرْ.

وَخُبْزًا جَافْ.

وَظِلَّ شُجَيْرَةِ الصَفْصَافْ

وَضَمَّةَ صَدْرِكِ الـحَانِـيْ

عَلَى طِفْلٍ رَضِـيْعٍ خَافْ

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

تَذَكَّرْتُ..

دُعَاءَكِ فِيْ صَلاةِ الفَجْرْ

تَذَكَّرْتُ الكَلامَ الـحُلْوَ فِيْ يَوْمٍ

تَذَكَّرْتُ الكَلامَ الـمُرْ

وَيَوْمَ سَأَلْتِنِـيْ مَرَّةْ

عَنِ الـمَوْتِ

وَأَوَّلِ لَيْلَةٍ فِي القَبْرْ

وَعَنْ حَالِ السِنِـيْنَ هُنَاكْ

وَكَيْفَ تَـمُرْ؟

وَمَرَّ العُمْرْ

وَصَارَ الـمُرُّ فِيْ حَلْقِيْ

هُنَاكَ أَمَرْ

وَظَلَّ السِرُّ مَطْوِيّاً

وَخَلْفَ السِرْ

أَنَا مَا زِلْتُ يَا أُمِّيْ عَلَى قَبْرِكْ

هُنَا طِفْلاً..

يَبِــيْعُ الصَبْرْ

أُنَادِيْكِ

وَأَنْتَظِرُ.. يَجِـيْءُ الرَدْ

وَأَصْبَحَ بَيْنَنَا سَدٌّ

وَمَاذا خَلْفَ هَذَا السَدْ

بَدَأْنَا العَدّْ

أَنَا طِفْلٌ حَدِيْثُ العَهْدِ بِـاليُتْمِ

وَلا أَدْرِيْ وَمَاذا بَعْدْ؟

فَمَنْ بَعْدَكْ..

عَلَيَّ يَرُدْ؟

وَمَنْ بَعْدَكْ..

إذا قَبَّلْتُ كَفَّيْهِ..

أَذُوْقُ الشَهْدْ؟

وَمَنْ يَمْسَحْ..

عَلَى رَأسِيْ إذا آسَى؟

وَمَنْ بَعْدَكْ..

يُقَبِّلُنِيْ لِكَيْ أَنْسَى؟

وَمَنْ فِي الصُبْحِ أَشْتَمُّ. .

بِـأَنْفَاسِهْ..

عَبِـيْرَ الوَرْدْ؟



دَخَلْتُ الآنَ حُجْرَتَكِ

وَجَدْتُ النُوْرَ قَدْ غَادَرْ

وَطِيْبَكِ مِنْ هُنَا سَافَرْ

سَأَلْتُ النُوْرَ عَنْ شَيْءٍ هُنَا تَرَكَهْ

لِـمَاذا البَيْتُ مَا عَادَ

فَلا صَوْتٌ وَلا حَرَكَةْ

وَلا خَيْرٌ وَلا بَرَكَةْ؟

هُنَا مَا زَالَ مَقْعَدُكِ

وَصَوْتٌ مِنْ كَلامِ الأَمْسْ

جَمِيْعًا كُنَّا نَنْتَظِرُكْ

فَهُلِّيْ مِثْلَمَا أَنْتِ

فَقَدْ كُنْتِ..

هُنَا بِـالأَمْسْ

وَبَيْنَ اليَوْمِ وَالأَمْسِ

تَغَيَّرْنَا.

فَلا شَكْلٌ وَلا لَوْنٌ

وَلا طَعْمٌ وَلا مَعْنَى

وَلا أَنْـتِ..

هُنَا مَعَنَا

لأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي العُمْرِ يَا أُمِّيْ

نَذُوْقُ اليُتْمَ أَجْمَعَنَا

نُغَمِّسُ خُبْزَنَا اليَابِـسْ..

بِأَدْمُعِنَا

هُنَا بَخَّاخةُ الرَبْوِ وَمِسْبَحَتُكْ

وَطَرْحَتُكِ وَسِجَّادَةْ

وَمِذْيَاعٌ صَغِيْرٌ

يَقْرَأُ القُرْآنَ كَالعَادَةْ

أَتَى العِيْدُ وَلَمْ يَطْرُقْ عَلَى بَابِيْ هُنَا أَحَدٌ

تَعَجَّبْتُ. .

تُرَى قَدْ جَاءَ هَذَا العَامُ يَا أُمِّيْ

بِـلا أَعْيَادْ؟

وَلَمْ أَسْمَعْ هُنَا صَوْتَكْ. .

يُنَادِيْنِيْ

فَنَادَيْتُ... وَنَادَيْتُ...

وَخَوْفٌ دَاخِلِيْ يَزْدَادْ

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

فَأَيْنَ فُطُوْرُنَا أَيْنَ

وَأَيْنَ جَمِيْعُ مَنْ في البَيْتِ

يَلْتَفُّوْنَ مِنْ حَوْلِكْ؟

هُنَا كُنَّا عَلَى مِيْعَادْ

هُنَا في البَهْوِ نَنْتَظِرُكْ

وَهَذَا المَقْعَدُ الخَالِيْ

أُحَدِّقُ فِيْهِ..

وَيَقْتُلُنِيْ سُؤَالٌ دَارَ فِيْ بَالِيْ

طَرَقْتُ البَابَ لَمْ أَسْمَعْ..

هُنَا صَوْتَكْ

وَنَادَيْتُ: أَيَا أُمِّيْ.. أيَا أُمِّيْ

فَتَحْتُ البَابَ فِيْ صَمْتٍ

سَرِيْرُكِ هَا هُنَا خَالِيْ

وِسَادَتُكِ وَجِلْبَابُكْ وَمِسْبَحَتُكْ

وَبَسْمَتُكِ.. دُعَابَتُكْ

وَمَصْرُوْفٌ لأَطْفَالِـيْ

وَأَدْوِيَةٌ مُبَعْثَرَةٌ

سُؤَالُكِ دَائِماً عَنِّيْ

وَعَنْ حَالِيْ

وَرُقْيَتُكِ وَدَعْوَتُكِ

وَنَوْمِيْ فَوْقَ رُكْبَتِكِ

وَنَظْرَتُكِ وَضَمَّتُكِ وَقُبْلَتُكِ

وَحِضْنٌ فِيْهِ آمَالِيْ

بِـأَنْ أَرْتَاحَ مِنْ تَعَبِـيْ وَتِرْحَالِيْ

تَسَاقَطْتُ... عَلَى الأَرْضِ

لأَنَّ العَجْزَ قَدْ دَبَّ. .

بِـأَوْصَالِيْ.



أُحِسُّكِ دَائِماً قُرْبِـــيْ تُنَادِيْنِــيْ

بِــكُلِّ مَسَاءْ

فَأَجْرِيْ نَحْوَ غُرفَتِكِ

بِــكُوْبِ الـمَاءْ

وَقُرْصِ دَوَاءْ

فَلا أَجِدُكْ. . .

أَضُمُّكِ دَاخِلِيْ وَأَذُوْبْ

فَلا يَبْقَى هُنَا مِنِّيْ وَلا مِنْكِ

سِوَى أنـَّا

فَنَاءٌ ذَائِبٌ بِـفَنَاءْ

وَقَدْ أَعْطَيْتِنِيْ رُوْحًا

فَحَلَّقْتُ. .

أَنَا مَعَكِ

بِــكُلِّ سَمَاءْ

فَيَا أُمِّي التِي اخْتَصَرَتْ بِـدَاخِلِنا..

مَوَاسِمَنَا

فَصِرْنَا وَالسِنِيْنَ بُكَاءْ

مُسَافِرَةٌ إلى أيـنَ حَبِـيْبَتَنَا

مُسَافِرَةٌ بِـلا أَشْيَاءْ

حَقِيْبَتُكِ التِيْ كَانَتْ

تُسَافِرُ دائِماً مَعَكِ

نَرَاهَا لا تُطِيْقُ بَقَاءْ

ضَحِكْتِ عَلَيْنَا واللهِ

وَسَافَرْتِ عَلَى اسْتِحْيَاءْ

بِـغَيْرِ وَدَاعْ

وَسَافَرْتِ. .لأَبْعَدِ نُقْطَةٍ فِي الكَوْنِ

سَافَرْتِ بِـلا أَشْيَاءْ

سِوَى زَادٍ مِنَ التَقْوَى

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

وَإِيْمَانٍ كَنَبْعِ السَماءْ

تُرَاكِ الآنَ يَا أُمِّيْ

بِـأَيِّ سَماءْ؟



وَتَعْبِـسُ حَوْلَنَا الأَشْيَاءُ مُعْلِنَةً

قُدُوْمَ الـمَوْتْ

قِطَارٌ سَوْفَ يَحْمِلُنَا لِـبُلْدَانٍ

وَنَجْهَلُهَا

نُسَمِّيْهَا بِـلادَ الصَمْتْ

لِدَارٍ غَيْرِ تِلْكَ الدَارِ يَا أُمِّيْ

وَبَيْتٍ غَيْرِ هَذَا البَيْتْ

أُنَادِيْكِ

وَأَصْرُخُ دَائِماً وَحْدِيْ

بِـأَعْلَى صَوْتْ

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

رَجَوْتُكِ أنْ تُجِيْبِيْنِيْ

وَأَنْ تَبْقَيْ هُنَا مَعَنَا

لِبَعْضِ الوَقْتْ.



أَنَا أَمْسَكْتُ بِالهَاتِفْ

لأَطْلُبَ نَفْسَ أَرْقَامِكْ

فَكَمْ يَأْتِيْ جَمِيْلاً رَائِعاً رَدُّكْ

إذا كَانَتْ مُهَاتَفَتِيْ

مُفَاجَأَةً

وَمَا دَارَتْ بِحُسْبَانِكْ

بِكَلِمَاتٍ تُزَلْزِلُنِيْ..

تُرَدِّيْنَ

وَتَخْتَصِرِيْنَ قَامُوْساً

مِنَ الكَلِمَاتِ فِيْ ذَلِكْ

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

أُحِسُّ بِـقَلْبِـكِ الـمَلْهُوْفِ يَنْصَهِرُ

عَطَاءً مُرْهِقاً جِـدّاً

يُغَالِبُ مَا بِـإِمْكَانِكْ

فَأَيُّ حِكَايَةٍ أَنْتِ

وَكُلُّ مَنَابِـعِ الـحُبِّ

تَصُبُّ الـحُبَّ فِيْ ذَاتِكْ

أَنَا مِنْ جَمِّ تَوْقِـيْرِكْ وَإِجْلالِكْ

فَلَوْ كَانَ. .

لِغَيْرِ اللهِ مَسْمُوْحٌ بِـأَنْ أَسْجُدْ

لَعِشْتُ العُمْرَ يَا أُمِّيْ

لأَسْجُدَ عِنْدَ أَعْتَابِـكْ

أَنَا مَا زِلْتُ وَالـهَـاتِفْ

وَعِشْـرُوْنَ مُـحَاوَلَةً

فَـرُدِّيْ مِـثْـلَـمَـا كُنْتِ

وَصُبِّيْ دَاخِلَ الشِرْيَانِ تَـحْـنَانَكْ

فَهَذَا اليَوْمُ عِـيْدُ النَاسِ يَا أُمِّيْ

وَأُغْنِـيَةٌ أنَا قَدْ عِشْتُ أَعْشَقُهَا

وَأَنْتِ السِرُّ فِيْ ذَلِكْ

أَتَى العِـيْدُ

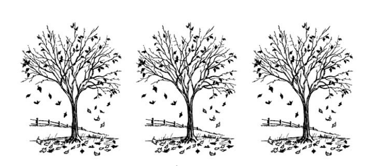
وَهَاتِفُكِ يَرِنُّ وَلا تُجِـيْـبِــيْنَ

هَدَايَاكِ أَتَتْ مِنْ كُلِّ أَحْبَابِـكْ

وَلَكِنْ لَمْ نَكُنْ نَدْرِيْ

بِـأَنَّكِ دُوْنَ أَنْ نَدْرِيْ

هُنَا غَيَّرْتِ عُنْوَانَكْ.



أَنَا النَدْمَانُ مِنْ رَأْسِيْ إلى قَدَمِيْ

أَنَا نَدَمِيْ

عَلَى أَنِّـيْ تَرَكْتُكِ لَـحْظَةً في العُمْرِ

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

مَا كُنْتِ مَعِـيْ فِـيْهَا

فَعُوْدِيْ لِـيْ وَأُقْسِمُ لَكْ

بأنِّـيْ كُلَّ أَيَّامِيْ سَأَقْضِـيْهَا

لأَجْلِسَ عِنْدَ أَقْدَامِكْ

أُقَبِّلُهَا وَأَحْمِلُهَا عَلَى رَأْسِـيْ

أُهَدْهِدُهَا أُغَطِّيْهَا

فَقَدْ خَدَعَتْنِـيْ أيـَّامِيْ

وَرِحْلَةُ عُمْرِنَا مَرَّتْ

وَلَمْ أَعْرِفْ

تَوَاعَدْنَا عَلَى شَيْءٍ

أنَـا وَاللهِ لَمْ أُخْـلِفْ

وَلَكِنْ أَخْلَفَ الـمَوْتُ. .

الذِيْ فِيْ لَـحْظَةٍ يَخْطَفْ

تَـخَيَّلْتُ..

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

بِـأَنَّ العُمْرَ مُمْتَدٌّ

وَأنَّ هُنَاكَ مُتَّسَعاً مِنَ الأَيَّامْ

وَكَمْ كَانَتْ لَدَيْنَا هَاهُنَا أَحْلامْ

رَأيْتُ الـمَوْتَ في عَيْنَيْكِ فيْ يَوْمٍ

وَلَكِنْ خِلْتُهَا أَوْهَامْ

حَكَيْتِ لَنَا عَنِ الـمَاضِـيْ

تَرَكْتِ بِـدَاخِلِيْ جُرْحاً

كَأَلْفِ عَلامَةِ اسْتِفْهَامْ

وَمَرَّ الوَقْتُ لَمْ نُكْمِلْ

وَقَدْ قُلْنَا

غَدًا بِـإِذْنِ اللهِ نَسْتكْمِلْ

وَجَاءَ الغَدُ يَا أُمِّيْ

وَهَا أَنَـذَا وَحِيْداً ضَائِعاً مُهْمَلْ

فَبَعْدَكِ يَا أَحَبَّ النَاسْ

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

بِــهَذَا القَلْبِ مِنْ بَعْدِكْ

أنَــا مَاذَا بِــهِ أَفْعَلْ؟

جَمِيْلٌ كُلُّ شَيْءٍ فِيْكِ يَا أُمِّيْ

جَمِيْلٌ كُلُّ شَيْءٍ كَانْ

بِـحَقٍّ كُنْتِ رَائِعَةً وَيَافِعَةً

وَيَانِعَةً كَمَا البُسْتَانْ

رَأَيْـتُكِ بَسْمَةً تَـمْتَدُّ شَلالاً

وَتَسْكُنُ مَدْخَلَ الشِرْيَانْ

حَنَانُكِ عَالَمٌ يَـمْتَدُّ دَاخِلَنَا بِـلا آخِرْ

بُحُوْرٌ مَا لَـهَـا شُطْآنْ

وَجُوْدُكِ وَحْدَهُ كَافٍ

لِـيَبْعَثَ دَاخِلِيْ اطْمِئْنَانْ

فَفِـيْ كَفَّيْكِ يَا أُمِّيْ

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

شُطُوْطُ أَمَانْ

أُحِسُّكِ رَغْمَ مَا فِيْكِ

كَأَنَّكِ قَدْ فَرَشْتِ الأَرْضَ

مِنْ تَحْتِ البَشَرْ..

أَحْضَانْ

صَلاحٌ مَا لَهُ آخِرْ

وَأَنْتِ كَرَوْضَةٍ كُبْرَى مِنَ الإِحْسَانْ

تَصَالَحْتِ مَعَ النَاسِ

فَمَا أَغْضَبْتِ فِيْ يَوْمٍ هُنَا إِنْسَانْ

وَمَا يَوْماً طَلَبْتِ مَتَاعَ دُنْيَانَا

فَمَا شَيْءٌ عَلَى قَلْبِكْ..

لَهُ سُلْطَانْ

تَعَلَّقْتِ بِحَبْلِ اللهِ فِيْ صَبْرٍ

وَكُنْتِ بِكُلِّ نَائِبَةٍ لَكِ البُرْهَانْ

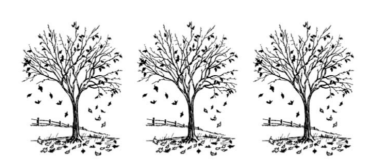
يَجِـيْءُ الفَجْرُ يَسْأَلُـنِيْ
يَدُقُّ البَابَ فِيْ خَجَلٍ
كَطِفْلٍ تَائِهٍ حَيْرَانْ
وَيَجْلِسُ يَنْزَوِيْ وَحْدَهْ
وَيَسْأَلُ عَنْكِ يَا أُمِّيْ
فَصَوْتُ مُؤَذِّنِ الفَجْرِ
هُنَا قَدْ حَانْ
فَلا صَوْتٌ لِـهَذَا البَيْتِ مِنْ بَعْدِكْ
فَأَيْـنَ الآنَ هَمْهَمَتُكْ
بِـتَسْبِـيْحٍ وَتَهْلِيْلٍ
وَتَرْتِـيْلٍ مِنَ القُرْآنْ
فَقَدْنَاكِ.. عَلَى غِرَّةْ
وَسَافَرْتِ..
وَلا نَدْرِيْ لأَيِّ مَكَانْ

لأَوَّلِ مَرَّةٍ في العُمْرِ تَغْتَرِبــِيْنَ يَا أُمِّيْ

وَسَافَرْتِ..

إلى الأَبَدِ..

بلا اسْتِئْذَانْ...



تخريج الأبيـات الشعريّة

◉ يكثرُ السؤالُ عن قائلِ هَذِهِ الحكمةِ التي عَنْوَنْتُ بها الكتابَ:

(يظلُّ الرجلُ طفلاً حَتَّى تموتَ أمّه، فإذا ماتتْ شاخَ فجأةً).

وللجواب عن ذلك السؤال أقولُ:

أوّل مَا قرأتُ هَذِهِ العبارة كان في كتاب (متعة الحديث: ص 41) لعبدالله بن محمد الداوود، ولم يعزها المؤلف لأحد.

وَقَدْ وجدتها منسوبة لمحمد عبدالوهاب في (صحيفة الجزيرة السعوديّة: يوم الجمعة 20/ 5/ 1419هـ الموافق 11/ 9/ 1998م، ثمّ في صحيفة الجزيرة نفسها "العدد 10172" الصادر في يوم الجمعة 4/ 5/ 1421هـ الموافق 4/ 8/ 2000م نُسِبَتْ إلى كمالة عثمان حسين). وهناك مَنْ قالَ لي : إنّها حكمةٌ صينيّةٌ، لكنّه لم يأتِ بدليلٍ على ذلك.

(1) عجز بيت لسعيد بن حميد، وصدره:

العُسْرُ أُكْرِمُهُ لِيُسْرٍ بَعْدَهُ

(2) البيتان لأبي العتاهية.

(3) البيتان لابن الرومي بتصرّف.

(4) البيتان للخليل بن أحمد الفراهيديّ.

(5) البيت لناصيف اليازجي.

(6) البيت لأحمد الرفاعي.

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

(7) شطر بيت في كتاب (الحيوان) للجاحظ، ولم أعرف تكملته.

(8) الأبيات للشاعر محمد إقبال رحمه الله ترجمها شعراً للغة العربية الشيخ الصاوي علي شعلان .

(9) من عجز بيت لأبي تمام :

وَأَشجَيتُ أَيّامي بِصَبرٍ جَلَونَ لي عَواقِبَهُ وَالصَبرُ مِثلُ اِسمِهِ صَبرُ

(10) بيتٌ مشهورٌ لم أعرف قائله.

(11) عجز بيت لأبي الشيص الخزاعيّ، صدره:

يُصَبّرني قَومٌ بُراءٌ مِنَ الهَوى

(12) البيتان للدكتور سلمان العودة.

(13) أبيات من ديوان (ريشة من جناح الذلّ) لحسن بن محمد الزهرانيّ في رثاء أمّه رحمها الله.

(14) البيت لابن الروميّ.

(15) البيت لأبي العتاهية.

(16) البيت لقاسم الكستيّ.

(17) البيتان لأبي العتاهية، وَقَدْ أَجَابَهُ الشاعر صالح بن عبدالقدوس:

الدارُ جنّةُ عَدْنٍ إنْ عَمِلْتَ بما يُرْضِي الإلَهَ وإنْ فَرَّطْتَ فالنارُ

هُمَا مَحِلانِ مَا لِلْنَاسِ غَيْرُهُمَا فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ ماذا أنتَ مُخْتَارُ

(18) البيت لقطريّ بن الفجاءة.

(19) البيت لإيراهيم بن هرمة.

(20) عجز بيت لأبي العتاهية، وصدره:

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

مـــا كـــلّ مَـــا يتمنّـــى المـــرءُ يدركـــه

(21) البيتان لابن المعتزّ.

(22) البيت لابن الجيّاب الغرناطيّ.

(23) الأبيات لحسن بن علي بن جابر الهبل اليمنيّ.

(24) البيت لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

(25) البيت لمحمد بن عبدالله بن عثيمين.

(26) البيتان لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

(27) البيت لابن شهيد الأندلسيّ.

(28) البيت لأبي الشيص الخزاعيّ، وقافيته عنده: (حاجة أو تطرّبُ).

(29) البيت للخطيب البغداديّ.

(30) الأبيات لابن نباتة السعديّ.

(31) البيتان بلا نسبة في (خلاصة الأثر في أعيان القرن الثاني عشر).

(32) البيت لمحمود سامي الباروديّ.

(33) الأبيات لأبي يعقوب إسحاق بن حسّان الخريميّ.

(34) البيت لصالح بن عبدالقدوس.

(35) البيت للموصليّ.

(36) الأبيات للمؤلف غفر الله له ولوالديه.

(37) البيت لعديّ بن الرعلاء الغسّانيّ.

(38) البيت لغلام سمعه الأصمعيّ منه، كما في (زهر الأكم في الأمثال والحكم).

(39) البيت لأبي الشيص الخزاعيّ.

(40) البيتان لفتح الله حوّاص.

(41) الأبيات لأبي العتاهية.

(42) الأبيات – بتصرّف – لعمر بهاء الدين الأميريّ يرثي أمّه، رحمهما الله جميعاً.

(43) هو ابن أخي / ريّانُ بنُ خالد العايد، المولود في الرس بمنطقة القصيم يوم 3/ 8/ 1420هـ

(44) مطلع قصيدة عمر بهاء الدين الأميريّ في رثاء أمّه، رحمهما الله.

(45) البيت لسعيد بن محمّد الغشريّ.

(46) البيت لراشد الدوسريّ.

(47) البيت للأمير نجم الدولة أحمد بن أبي الفتوح.

(48) الأبيات لمحمد بن عبدالمطلب بن واصل.

(49) الأبيات للمؤلف غفر الله له ولوالديه. ويلاحظ أنّ المؤلف قد ابتدع في البحر الكامل وزناً جديداً، فقد زاد تفعيلة خامسة على مجزوء الكامل ذي القافية المرفَّلَةِ.

(50) الأبيات للمؤلف غفر الله له ولوالديه.

(51) الأبيات لفاروق جويدة.

(52) البيت لابن عبد ربّه الأندلسيّ.

(53) أبيات من ديوان (ريشة من جناح الذلّ) لحسن بن محمد الزهرانيّ في رثاء أمّه رحمها الله.

(54) عجز بيت للدكتور أحمد بن عثمان التويجريّ من قصيدة في رثاء أمّه رَحِمَهَا الله، وصدره:

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

ســـــتأتيه زَيْــــنٌ للنـــــساءِ مليحــــــةٌ

(55) عجز بيت أَيْضاً للدكتور أحمد بن عثمان التويجريّ من قصيدته في رثاء أمّه رَحِمَهَا الله، وصدره:

ســـــــــتأتيه أمٌّ للعفـــــــــافِ كريمـــــــــةٌ

(56) بيت أَيْضاً للدكتور أحمد بن عثمان التويجريّ من قصيدته في رثاء أمّه رَحِمَهَا الله.

(57) بيتان للدكتور صالح بن حمد المالك من قصيدة له في رثاء أمّه رَحِمَهَا الله.

(58) البيت لابن سنان الخفاجيّ، وعجزه لديه:

يعيـــــي البليـــــغ وإن خَبــــــرْتَ فَخَـــــبِّرِ

(59) عجز بيت للحطيئة، وصدره:

مــــاذا تقـــول لأفـــراخ بـــذي مـــرخٍ

(60) بيتان للدكتور زاهر بن عوّاض الألمعيّ في رثاء والدته رحمها الله.

(61) بيتان لمحمد بن عبدالمطلب بن واصل.

(62) أبيات لأبي فراس الحمدانيّ.

(63) أبيات للشريف الرضيّ.

(64) البيتان لأبي الفتح البستيّ.

(65) بيتٌ مشهورٌ لأعرابيٍّ مغمورٍ.

(66) البيتان لأبي الفتح البستيّ.

(67) البيت لأبي فراس الحمدانيّ.

(68) عجز بيت لمحمد بن البعيث الربعيّ، وصدره:

ســـــــأتلفُ المـــــــال في عــــــسر وفي يَــــــسَرِ

(69) بيت لَـمْ أعرف قائله، والبيت في (جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكريّ).

(70) البيت لمروان بن أبي حفصة.

(71) البيتان لإيليا أبي ماضي.

(72) البيت للبحتريّ.

(73) الأبيات للمؤلف غفر الله له ولأمّه وأبيه.

(74) الأبيات لجورج جورداق (بتصرّف).

(75) البيت للبحتريّ بتصرّف.

(76) البيت للدكتور إبراهيم ناجي.

(77) البيت للخنساء.

(78) الأبيات للدكتور أحمد بن عثمان التويجريّ في رثاء أمّه رَحِمَهَا الله.

(79) عجز بيت للواح، صدره:

ذئـــــــابٌ عَلَيْهَـــــــا مـــــــلاحُ الثيـــــــابِ

(80) البيت لأبي القاسم الداوديّ.

(81) البيت للشريف الرضيّ.

(82) البيتان لمحمد بن عبدالمطلب بن واصل في رثاء أمّه.

(83) الأبيات للأستاذ موسى بن محمد السليم في أمّه رَحِمَهَا الله.

(84) البيت لمحمود سامي البارودي.

(85) الأبيات للشيخ علي المبارك.

(86) البيتان للدكتور صالح بن حمد المالك في رثاء أمّه رَحِمَهَا الله.

(87) البيتان لأحمد رامي غفر الله له.

(88) البيت لابن نباتة المصريّ.

(89) الأبيات للدكتور صالح بن حمد المالك في رثاء أمّه رَحِمَهَا الله.

(90) البيت للمؤلف غفر الله له ولوالديه.

(91) البيتان لابن حمديس الصقلّيّ.

(92) الأبيات للدكتور محمود السيّد الدُغيم في رثاء أمّه رَحِمَهَا الله.

(93) الأبيات لأبي فراس الحمدانيّ.

(94) أبيات من ديوان (ريشة من جناح الذلّ) لحسن بن محمد الزهرانيّ في رثاء أمّه رحمها الله.

(95) البيتان لصالح الشرنوبيّ (بتصرّف).

(96) توفي والدي - رحمه الله - ليلة الاثنين الموافقة 1/ 1/ 1387 هـ في الرس، بمنطقة القصيم.

(97) البيتان لأبي إسحاق الصابي.

(98) البيتان لمحمد بن عبدالمطلب بن واصل في رثاء أمّه.

(99) البيتان للمؤلف غفر الله له ولأبويه.

(100) عجز بيت لمحمد بن سكرة الهاشميّ، وصدره:

فقلت حالي بحالٍ من رثاءتها

(101) عجز بيت لابن غلبون الصوريّ، وصدره:

هم يحسدوني عَلَى موتي فوا أسفي

(102) صدر البيت لجرير، وعجزه للمؤلف غفر الله له ولأمّه وأبيه.

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

(103) الأبيات لأعرابيّ لَـمْ يبيّن اسمه في: (ذخائر البصائر لأبي حيّان التوحيديّ).

(104) عجز بيت لمحمد بن عبيدالله العتبيّ، وصدره:

فللـــــه مَـــــا أعطـــــى ولله مَـــــا جـــــرى

(105) البيتان ينسبان لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وليسا في ديوانه.

(106) البيت لضابئ البرجميّ.

(107) البيت لإبراهيم بن العبّاس الصوليّ.

(108) عجز بيت لمجنون ليلى، وصدره:

يـــــا ربّ لا تـــــسلبنّي حبّهـــــا أبـــــداً

(109) البيت لسالم بن غسّان اللوّاح.

(110) البيت لابن الروميّ في رثاء أمّه.

(111) البيتان لمحمد بن أميّة.

(112) البيت للأمير نجم الدولة أحمد بن أبي الفتوح.

(113) أبيات لشاعر يمنيّ مجهول.

(114) البيتان الأوّلان لشمس الدين محمد بن أحمد الكوفيّ، وباقي الأبيات للمؤلف.

(115) أبيات لخليل السكاكينيّ.

(116) الأبيات للشاعر محمد إقبال رحمه الله.

(117) من قول القاضي عبدالوهاب بن نصر الفقيه المالكيّ:

فقلـت لهـم كُفُّـوا المـلام فـإنما بجيرانهـا تغلـو الـديار وتـرخصُ

(118) عجز بيت للخنساء رحمها الله.

(119) الأبيات لجران العود النمريّ.

(120) البيت بلا نسبة في (المنتحل لأبي منصور الثعالبيّ).

(121) البيتان لحيدر بن سليمان الحلّيّ.

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

(122) الأبيات لعبدالله بن غانم الأنصاريّ المقدسيّ (بتصرّف شديد).

(123) البيت لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

(124) البيت للشريف الرضيّ.

(125) البيتان لابن الروميّ.

(126) .عجز بيت لأبي فراس الحمدانيّ، وصدره:

إذا الليـــــل أضـــواني بـــسطتُ يـــد الهـــوى

(127) البيتان لفتح الله بن النحاس.

(128) عجز بيت للبحرانيّ، وصدره:

بـــــتُّ ومـــــا أعــــرفُ طيــــفَ الكـــــرى

(129) عجز بيت لخالد الكاتب، وصدره:

رقـــــــــدتَ ولم تَــــــــرْثِ للـــــــــساهرِ

(130) البيت للأبيرد بن المعذر الرياحيّ

(131) بيت لجارية مجهول اسمها.

(132) البيت لمحمود سامي البارودي.

(133) الأبيات للأمير نجم الدولة أحمد بن أبي الفتوح.

(134) البيت للمؤلف غفر الله له ولأمّه وأبيه.

(135) القصيدة للمؤلف غفر الله له ولأمّه وأبيه.

(136) البيت لابن زيدون الأندلسيّ.

(137) البيت لمعن بن أوس المزنيّ.

(138) البيت لأبي القاسم الشابي.

(139) البيت لمحمد بن عبيد الله العتبيّ الأمويّ.

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

(140) حرصتُ على استقصاء كلّ مَا كُتِبَ في الأمّهات شعراً ونثراً، وَلا سيّما مَا كان رثـاءً، فاصـطفيتُ مـن قـصائد رثـاء الأمّهـات البيـت والبيتـين وبـضعة الأبيـات، فنضدتها درراً في مواضع من كتابي.

وحين نشر الأستاذ عبد العزيـز جويـدة هـذه المقطوعـة الرائعـة في رثـاء أمّـه رحمهـا الله وجدتُ أنّ الاصطفاء منها قد يُفْسِدُهَا، فاستأذنته في نـشرها كاملـة في الكتـاب؛ لأَنـَّهَا عقد منضّدٌ ؛ كلّ جوهرة فيه لا تغني عنها أختها.



فهرس الموضوعات

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

من إصدارات الدار

للأستاذ الدكتور/ صالح بن حسين العايد

- نظراتٌ لغويّةٌ في القرآن الكريم (تأليف).
- من لهجة أهل القصيم: (بُـهْ) و (يَنْسَانْ). (تأليف).
- حقوق غيرالمسلمين في بلاد الإسلام (بعدد من اللغات) (تأليف).
- الضرورة في شعر المتنبّي (تأليف).
- الشافي في علم القوافي لابن القطّاع الصقِلّيّ (تحقيق).
- الفصول في القوافي لابن الدهّان النحويّ (تحقيق).
- البسيط في النحو لابن العِلْجِ الإشبيليّ (تحقيق).

التعديل والإخراج وتنفيذ أعمال الطباعة

دار كنــوز إشبيليا للنشر والتــوزيع - الرياض

هاتف: **4914776 – 4968994** فاكس: **4453203**

Email: eshbelia@hotmail.com

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وَارْحَمْ وَالِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً

إذنٌ من المؤلف

أذِنَ المؤلـفُ لمـنْ شَـاءَ توزيـعَ الكتـابِ توزيعاً خيريّاً أذِنَ بإعـادةِ طباعتِـهِ علـى أنْ يُراعيَ أمرين:

الأول: الالتزام بهذه الطبعة.

الآخر: أن توضعَ صورةُ قبر أمِّهِ رحمها اللّه ؛ لأنه مُشارٌ إليها في المقدّمة.

اللهُمَّ يا خَيْرَ الراحِمِيْنَ ارْحَمْنِيْ وارْحَمْ والِدَيَّ كما رَبَّيَانِيْ صَغِيْراً